الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون- تيارت-
كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

موسومة بـ:

الجهاد البحري في الجزائر العثمانية

(902هـ - 1520م /1209هـ-1827م)

إعداد الطالبة:
- زيارة سامية

إشراف الأستاذة:
دوبالي خديجة

لجنة المناقشة:

بقه بلخير	رئيسا
دوبالي خديجة	مشرفاً ومقرراً
حرشوش كريمة	عضواً مناقشا

السنة الجامعية:
1435-1436هـ /2013-2014م

إهـداء

أهدي هذا العمل المتواضع

إلى والداي العزيزين

أطال الله في عمرهما و حفظهما

كما أهديه إلى أقرب الناس لي إخوتي

و إلى حبيب قلبي

الكتكوت محمد

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذة المشرفة دوبالي خديجة على نصائحها وتوجيهاتها و حلمها و صبرها حتى إتمام هذا العمل.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى صديقة العمر قرنابي عيساوية و حمادي نسرين وموظفة المكتبة الجامعية غازي فاطيمة وإلى كل من ساعدني من قريب و بعيد في إتمام هذا العمل.

قائمة المختصرات

تح: تحقيق

تر:ترجمة

تص:تصحيح

تع:تعليق

تق: تقديم

ج:جزء

در:دراسة

دس:دون سنة

دط:دون طبعة

دب ن:دون بلد النشر

مج:مجموعة

Ibid :المرجع نفسه

Op cit:المرجع السابق

مقدمة

إن النشاط البحري ظاهرة معروفة منذ العصور القديمة عملت به العديد من الدول الأوروبية في مجالات عديدة، إلا أن البحرية الجزائرية هي التي ذاع صيتها في هذا المجال حيث برز نشاطها بقوة أثناء إنضوائها تحت لواء الخلافة العثمانية وهنا جاء موضوع دراستنا الموسومة "الجهاد البحري في الجزائر العثمانية(902هـ-1520م / 1209هـ-1827م)" من أجل تسليط الضوء على فترة حاسمة في تاريخها العثماني وعلى المستجدات والمتغيرات التي طرأت على الساحة الداخلية والخارجية.

إن موضوعنا يكتسي أهمية كبرى من حيث جانبه التاريخي والعسكر ي فهو يسلط على فترة مهمة من تاريخ الجزائر ويعمل على التأسيس التاريخي لمسار البحرية الجزائرية ومدى شرعيتها رجوعا إلى القوانين المحلية والدولية لذلك فهي فترة مهمة في تاريخنا ومرحلة حاسمة من المراحل مرت بها في مسيرتها التاريخية وتتأكد القيمة العلمية لهذا البحث في الفترة الزمانية التي تتمثل من (902هـ/1520م) إلى (1209هـ/ 1827م) حيث برز فيها النشاط البحري الجزائري مارا بمراحل عديدة، مرحلة التأسيس وبناء ثم الإزدهار والقوة إلى مرحلة الضعف وأخيرا مرحلة الإنهيار.

نظرا لأهمية الموضوع وبإعتباره نقطة حاسمة في تاريخنا إهتم الباحثون بدراسته وإلقاء الضوء عليه ومن الموضوعات التي تتناول عالجت بشكل مفصل هي"البحرية الجزائرية وتأثيرها في العلاقات الجزائرية و الفرنسية السياسية 1519م- 1800 م" للباحث إسحاق زيتوني تطرق هذا الأخير في دراسته إلى تطور أهداف البحرية الجزائرية أولها مرحلة الجهاد البحري وذكر فيها أن الجزائر يين في هذه الفترة كانت تقوم بدفاع عن بلادها وحمايتها من الدول الأوروبية، أما مرحلة الثانية مرحلة الغزو البحري و هي الفترة التي بدأ فيها الأسطول الجزائري يجول في البحار و يخضع المناطق التي يمر بها،و أخيرا مرحلة الثالثة و هي مرحلة الدبلوماسية و في هذه الفترة كان الأسطول البحري يقوم بضرب السفن التي كانت ترفض دفع الأتوات و مستحقات مرورها بالبحر.

أيضا الدراسة الموسومة بـ "مسألة الديون فرنسا و إنعكساتها على العلاقات البلدين أواخر العهد العثماني عهد الدايات" لنواصر عبد الرحمان درس فيها أوضاع العامة للجزائر

وفرنسا و أهم وقائع الحصار الفرنسي على الجزائر مبيناعدة الأسطول كما تطرق إلى الحملة الفرنسية على الجزائر و مصير الخزينة الجزائرية.

كذلك الدراسة الموسومة بـ "نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر وأثره في العلاقات الجز ائرية الفرنسية" لعطلي محمد أمين تعرض في دراسته إلى مدى تأثير حوض البحر الأبيض المتوسط و موقع الجزائر في العلاقات بين الضفتين ،كما تطرق إلى البعد الجهادي للنشاط البحري الجزائري وكل ما ترتب عنه من غنائم و أسرى وأهم العوامل التي أدت إلى إضعاف البحرية الجزائرية، ومن خلال هذه القراءات جاء الجديد في دراستنا التعمق في مصطلح الجهاد البحري والقرصنة و تطرقنا إلى أهم الدوافع التي جعلت الجزائرتمارس النشاط البحري ومراحل التي مرت بها في نشاطها،وهذا ما جعلنا نطرح الإشكالية التالية:

ما تأثير تبعية الجزائرية للخلافة العثمانيةو هل كانت الجزائر تمارس جهادا بحريا أو نشاط قرصنة كما وصفه الأوروبيين؟وقد تفرع من هذه الإشكالية العديد من الأسئلة : ما هي الأسباب التي أدت إلى ظهور حركة الجهاد البحري في الحوض البحر الأبيض المتوسط؟ فيما تمثلت العوامل المساعدة على تطوره إلى أن أصبحت الجز ائر بفضله سيدة البحر الأبيض المتوسط ؟ وما هي أهم الأهداف التي حققتها على المستوى الداخلي و الخارجي؟

للإجابة على هذه الأسئلة إتبعنا المنهج الوصفي السردي يتخلله بعض من التحليل وذلك من خلال وصفنا للعديد من المعارك البحرية و محاولة تحليل بعض المعطيات التاريخية لدراسة أسبابهاو أهم الأطراف التي ساهمت فيها.

ككل بحث لا يخلوا من الصعوبات قد تعوق السير الحسن له، واجهتنا صعوبات من بينها صعوبة التعامل مع المصطلحات و إستخلاص الحقائق التاريخية من مجموع المصادر المعتمدة عليها، وبالرغم من ذلك توفرت لناعزيمة على إنجاز هذه الدراسة لما تولد لنا من القراءات الأولية و محاولتنا لفهم المسألة التاريخية التي إختلفت أراء المؤرخين في تعريفهم لها

ولإزاحة الغموض عليها ولإثراء بحثنا قمنا بإعتماد على المصادر والمراجع العربية والأجنبية و كان أهمها:

"سيرة المجاهد خير الدين بربروس" لمؤلف مجهول يختص هذا الكتاب في دراسة شخصية خير الدين وأهم أعماله ساعدنا هذا الكتاب في دراسة أهم النشاطات الأولى بقيادته خير الدين.

كتاب "Albert Devouloux"La Marine de Régence d'Alger يعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب المختصة في موضوع دراستنا تطرق فيه إلى بعض أنواع السفن و الموظفين في الأسطول البحري الجزائري.

كتاب للمؤلف " Venture de Paraddis" Alger au XVIII siecle تناول الباحث الأحداث التي مرت بها الجزائر في القرن السابع عشر وموضوع الأسرى الأوربيون بالجزائر وكيفية معاملتهم كما تطر ق إلى نشاط الأسطول البحري الجزائري.

كذلك كتاب Fray Diogode Haédio Abbe de Formest Histoire de Rois d'Alger" تحدث هذا الكتاب عن ملوك الذيهن مروا بالحكم في الجزائر ولقد أخذ خير الدين الجزأ الأكبر منها حيث تعرض هذا الأخير لأهم الأعمال التي قام بها على المستو ى الداخلي والخارجي.

عباد صالح في كتابه الجزائر خلال الحكم التركي تطرق في مضمونه على احتلال الاسباني للسواحل الجزائرية كما إختص بالتحدث عن فترة إنضواء الجزائر تحت الخلافة العثمانية ساعدنا دراستنا للإحتلال الإسباني لسواحل الجزائرية.

كتاب أحمد توفيق المدني حر ب ثلاثمئة سنة بين الجزائر وإسبانيا1492م- 1792م تطرق فيه إلى الصراع القائم بين إسبانيا والجزائر التحرشات الإسبانية بالسواحل الجزائرية وأفادنا في دراسة الإحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية .

كتاب "الجزائر و أروبا 1500م- 1830م" لجون ب ولف يعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب التي تتحدث عن الفترة الحديثة يتحدث فيه عن طائفة رياس البحر وعن

الأسرى و أدرج العديد من الملاحق الخاصة بمعارك التي خاضتها الجزائر والتي قمنا بإدراجها في بحثنا.

كتاب إبن آشنهوا عبد الحميد إبن أبي زيان " دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر" تحدث هذا الكتاب عن الإحتلال سواحل الجزائرية من قبل الإسبان وإستنجاد الجزائر بعروج و أهم المعارك التيخاضها و خير الدين بالجزائر وإنضمامها إلى الخلافة العثمانية.

ولقد إتبعنا في دراسة هذا الموضوع على خطة بحث المتمثلة في ثلاثة فصول جاءت كالتالي الفصل الأول بعنوان الظروف العامة التي سبقت الوجد العثماني بالجزائر مقسم إلى مبحثين المبحث الأول المعنون بالاحتلال الاسباني للسواحل الجزائرية جاء فيه عرض لأهم دوافع الاحتلال الاسباني لسواحل الجزائرية وأهم المناطق التي وقعت تحت أيديهم أما المبحث الثاني المسوم بـ تدخل العثماني في الجزائر تعرضت فيه إلى إستنجاد سكان الجزائر بإخوة بربروس واسترجاعهم للمناطق المحتلة وانضمام الجزائر إلى لواء الخلافة العثمانية.

ثم كان الفصل الثاني الموسوم بـ" الرؤية التاريخية لمسألة الجهاد البحري من خلال بعض لمصادر الغربية و العربية " وقد ضم هذا الفصل أربعة مباحث،المبحث الأول فعالجنا من خلاله منظور الأوربيين للعمل البحري الجزائري تحدثنا فيه عن الإختلاف والتشابه الطارئ على المصطلحات في حين تطرقنا في المبحث الثاني إلى المدرسة التاريخية العربية ومسألة الجهاد البحري في الجزائر درسنا فيه نظرة الإسلام والمسلمين لعملية الجهاد البحري وماذا مثل هذا الأخير بالنسبة للجزائريين أما المبحث الثالث فخصصناه للتفسير التاريخي لمسألة الجهاد البحري وتطرقنا فيه إلى القرصنة الأوربية ودورها في ظهور حركة الجهاد البحري أما المبحث الرابع فتطرقنا فيه إلى الأدلة التاريخية والمادية لشرعية العمل البحري الجزائري.

وفي الفصل الثالث المعنون بـ " المسار التاريخي للبحرية الجزائرية " ضم هذا الأخير أربعة مباحث تطرقنا فيها إلى مراحل التي مر بها الأسطول البحري الجزائري، وجاء المبحث الأول بعنوان مرحلة التأسيس والبناء تحدثنا فيه عن بناء الأسطول الجزائري تطرقت فيه بناء الأسطول البحري الجزائري أهم المعارك التي خاضها في بداية نشاطه أما المبحث الثاني الموسوم بمرحلة القوة تعرضنا فيه إلى أهم المعارك التي خاضها الأسطول الجزائري،وفي المبحث

الثالث مرحلة الضعف تطرقنا فيه إلى المؤتمرات و معركة نفارين وكيف كان دورها في إضعاف الأسطول البحري الجزائري وأخيرا تطرقنا على الحصار البحري الفرنسي على الجزائر إنهيار البحرية الجزائرية وختمت بحثي بخاتمة كانت عبارة عن مجموعة من الاستنتاجات كما دعمت بحثي ببعض الملاحق التي تخدم الموضوع من قريب.

الفصل الأول

الظروف التي سبقت الوجود العثماني بالجزائر

المبحث الأول: الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية .

المبحث الثاني: تدخل العثماني في الجزائر902هـ/1512.

المبحث الأول : الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية

إن انقسام المغرب الإسلامي إلى إمارات ضعيفة متطاحنة فيما بينهما جعلها تكون هدفا سهلا لدول وممالك أوروبا، هذه الأخيرة سعت لغزوها والسيطرة عليها؛ ومن بين الدول التي طمحت إلى ذلك المملكة الإسبانية، فقد سارعت لاحتلال سواحلها مستغلة في ذلك الظروف التي كان يمر بها المغرب الإسلامي عموما والمملكة الزيانية على وجه الخصوص.

1)– الدوافع المحركة لمشروع الغزو: باشرت إسبانيا باحتلال سواحل المغرب الأوسط معتبرة هذا التدخل امتدادا للحرب الصليبية ضد الإسلام والمسلمين التي بدأتها في الأندلس [1] الشهيدة، وهي تلك الحروب التي أطلق عليها الإسبان حرب «**الاسترداد**» **(reconqueste)** [2]؛وقد كان لهذه الحرب الشرسة دوافع حركتها من أهمها نذكر:

[1]- **الأندلس:** عبارة عن جزيرة متصلة ببحر أقياسي اسمها في القديم ابارية، ثم سميت باطقة، وعرفت بعدها باشابانيا، ثم سميت بالأندلس. ينظر: محمد بن علي بن الشباط التوزري، وصف الأندلس، در وتح: أحمد مختار العبادي، مدريد: المعهد المصري للدراسات الإسلامية، ط:1، 1971م. ص:100. وذكر آخر أن الأندلس هي جزيرة متصلة ببحر أقياسي اسمها في القديم أبارية، وأول من نزل الأندلس وملكها وبنى بها المدن وغرس الأشجار بعد موقعة الطوفان قوم يقال لهم الأندلس ابن نفرش بن يافث بن نوح عليه السلام وعليهم سميت الأندلس. ينظر: مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، مخطوط رقم: 1528، الرباط: الخزانة الحسنية. ورقة رقم: 66.

[2]-**حروب الإسترداد:** هي سلسلة الحروب التي أنهت الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبرية ، وانتهت بسقوط مملكة غرناطة آخر معاقل عرب الأندلس سنة 1492م، ينظر: صالح حيمر، التحالف الأوربي ضد الجزائر عام 1541م وتأثيراته الإقليمية والدولية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة باتنة،2007م .2006م،ص:30. إن عبارة "الاسترداد المسيحي" لها مدلولها التاريخي في تاريخ الأندلس الإسلامية؛ فقد عمل الإسبان منذ الفتح الإسلامي على اعتقاد استرجاع الأراضي التي فتحها المسلمون؛ إلا أن هذه الحركة لم تأت بنتائجها الحاسمة إلا على عهد ملوك الطوائف؛ وازدادت هذه الحركة استفحالا بعد اضمحلال حكم الموحدين، وعدم وجود دولة قوية في بلاد المغرب الإسلامي تستطيع انقاذ الأندلس من الخطر، كما فعل المرابطون والموحدون من قبل. فاستعمال هذا المصطلح أمر لا يخلو من الخطأ، ذلك أن بلاد الأندلس بقيت تحت الحكم الإسلامي ما يقارب ثمانية قرون من الزمن، وانصهر سكانها الأصليون مع الفاتحين المسلمين سواء كانوا أمازيغ أو عرب، ودخلوا في الدين الإسلامي أفواجا، وحتى الذين بقوا على الدين النصراني أو اليهودي، تعايشوا في سلم وتجانس مع المسلمين؛ فما حدث في بلاد الأندلس لم يكن احتلالا أو استبدادا وإنما فتحا تبعه عدل وحضارة وازدهار.

* **الـدوافع الدينيـة**: اكتسـت الحمـلات الإسـبانية علـى سـواحل المغـرب الأوسـط صـبغة دينيـة ورغبـة جامحـة في محاولـة تنصـير المسـلمين خاصـة بعـد سـقوط غرناطـة[1] آخـر معاقـل الاسـلام في اسـبانيا سـنة 897هــ/1492م ولقـد ظهـرت العديـد مـن الشخصـيات الـتي دعمـت هـذا الاحـتلال مثـل الكاردينـال[2] خيميـنس **(ximénies)**أو**(Cisneros)** (912- 922هــ/1507-1517م) هـذا الأخـير كـان شـديد التعصـب، فقـد دعـم هـذه الحملـة مـن مالـه الخـاص وذلـك بتجهيز العمارة البحرية،كما سعى لكسب مساندة الكنيسة البابوية ماديا وبشريا. [3]

توحـدت الممالـك النصـرانية عـام(856هــ/ 1474م) بعـدما تمـت المصـاهرة السياسـية بين فرناندو(Fernando)[4]

---

(1)- **غرناطة**: معناها بالإسبانية "الرمانة" وهي شعارها التاريخي، الذي ما زال مائلا على باب قصبة الحمراء، في شكل ثلاث رمانات صخرية كبيرة. كانت آخر القواعد الأندلسية التي سقطت في يد النصارى الإسبان؛. ينظر: محمد عبد الله عنان، الآثار الباقية في اسبانيا والبرتغال (دراسة تاريخية أثرية)، د ب ن: مطبعة التأليف والترجمة والنشر، ط: 2، 1921م. ص: 160.

(2)- **كاردينال Cardinale**: هو في الأساس المساعد الأول للبابا. وتطلق هذه التسمية على الكرادلة في مناصبهم. ينظر: أبو غزالة جان بول، موسوعة الأديان الميسيرة، ص:412. والكردينالية هي من الدرجات الكنسية الإدارية وتشكل ما يسمى بمجلس الكرادلة الذين ينتخبهم البابا لاستلام الوظيفة الإدارية الكاردينالية أمراء الكنيسة، وهم يساعدون البابا في إدارة الكنيسة وفي انتخابه.

(3)-أحمد توفيق مدني،حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر وإسانيا1492 م 1792م، الجزائر:دار البصائر،ط:1، 2007م، ص ص :71،72.

(4) - الكردينال خيمنس : اسمه الكامل (François jenenes) ولد في قشتالة سنة 209هـ/ 1436م. ينظر: بسام العسلي، خير الدين بربروس والجهاد في البحر (1470-1547)، دار النفائس، بيروت، د ط، 1983م. ص: 45. بدأ حياته راهبا، ينحدر من أسرة فقيرة وضيعة الشأن، أخفى كل تعطشه إلى المال والسلطة تحت شعار "التدين الزائف للكتلكة، واستطاع الوصول إلى الملكة إيزابيلا، التي كانت تحترم وتقرب هذا النوع من الشخصيات. صار يحدثها عن رؤاه وأحلامه، وأنه شاهد القديس بطرس في المنام يلومه لأنه لم يتم القضاء على الأخطار التي كانت تحذق بالمملكة. عين رئيس أساقفة طليطلة سنة 901هـ/1496م، ثم بعت إلى غرناطة سنة 904هـ/1499م. ينظر: أحمد رائف، وتذكروا من الأندلس الابادة، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط: 1، 1407هـ/1987م، ص:321. يعتبر من بين أخطر الشخصيات التي اختارتها الملكة إيزابيلا واعتمدت عليهم في تطبيقها لسياسة التنصير القسري. وقبلها كان مطران على إمارة طليطلة. قام بإحراق الآلاف من الكتب العربية كما أوكلته الملكة مهمة الاختيار وتعيين رئيس ديوان مجمع قضاة الإيمان الكاثوليكي (محاكم التفتيش). ينظر: عبد العزيز سالم، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، .....، ص: 305. الملك فرناندو: في بعض المراجع نجده باسم فرديناند، وفي مراجع أخرى فرناندو. ولد الملك فرناندو عام 856هـ/1421م. وأصبح ملكا على صقلية سنة 873هـ/1468م، ثم ملكا على أراغون سنة 884هـ/1479م، ينظر

Rodrigo de Zayas les moresques et racisme d'état et la différence, Paris, 1992. P:168,

ملك أراغون[1] وإيزابيلا (Isabela)[2] وريثة عرش قشتالة[3] بعد موت أخيها[4]، وقد قام البابا ألكسندر السادس[5] (Alexandre) بإصدار مراسيم بابوية خلال سنتي (875- 876هـ)/(1493-1494م) يحث من خلالها على مواصلة الحرب الصليبية ضد المغرب الإسلامي[6]، كما أصدر أمرا لكل النصرانيين بضرورة الاستمرار في دفع الضريبة لملوك إسبانيا لدعم الحروب ضد المغرب الإسلامي، وعلى هذا الأساس جمع الرهبان أموال كبيرة في سبيل ذلك[7]، كما كان لرجال الدين دورا بارزا في هذه الحرب، فالكنيسة الإسبانية قد ساهمت بكل ما لديها من مال وحماس وجرأة في محاربة المسلمين[8].

---

(1) - **مملكة أراغون**: يقال عن أصول مملكة أراغون أن رعيتها كانوا قوطا، تراجعوا إلى جبال البيرينيه بعد الفتح الإسلامي للمنطقة؛ ثم اغتنموا فرصة اندلاع الاضطرابات في الثغور الأندلسية فحققوا تقدما لم يصبح مؤثرا إلا بعدما احتل الملك الأراغوني ألفونصو الأول الشهير بـ "المحارب" سرقسطة عاصمة الثغر الأعلى عام 512هـ/1118م. أما أشهر ملوك المملكة نذكر خايمي الأول (610-675هـ/1213ـ-1276م). ينظر: عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة (تاريخ 100 عام من المواجهة والاضطهاد بعد سقوط غرناطة)، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط: 1، 2000م. ص: 60.

(2) - **الملكة ايزبيلا**: ولدت إيزابيلا سنة 856هـ/1451م، وتوفيت سنة 910هـ/1504م. ينظر:

Louis Cardaillac, L'Espagne des Rios catholiques (Le prince don Juan Symbol de l'apofée D'un règne, 1474_1497 Edition Aurement _ collection Mémoires P: 23.

وهي ابنة الملك خوان الثاني ملك قشتالة، وحفيدة أنريكي الرابع. ينظر: الزويعي محمود، محاكم التفتيش الاسبانية (922هـ/1516م)، الأردن : دار زهران للنشر والتوزيع، د ط، د س. ص : 42.

(3)-**مملكة قشتالة**: تقع قشتالة بين ليون ونبارة؛ يحكمها زعيم محلي مقره برغش"Burgos"، وهذا الزعيم يخضع لملك ليون؛ حصلت قشتالة على استقلالها في منتصف القرن الرابع الهجري الموافق للعاشر ميلادي على يد فران غنصالص "Fernan Gonzales" (359هـ/970م). ينظر: الحجي عبد الرحمان، التاريخ الأندلسي،دمشق:دار القلم ،دط،دس. ص: 275.

(4)-صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، الجزائر: دار العلوم للنشر و التوزيع، دط، 2005م، ص:100.

(5)-**ألكسندر السادس** : تولى البابوية خلال الفترة الممتدة من سنة 1492م و إلى غاية 1503م ،فرض ضريبة الصليبية على النصارى لتموين الحملات الصليبية على المسلمين وقد إشتهر بتقسيمه لمناطق النفوذ في العالم بين البرتغال وإسبانيا،ينظر:صالح حيمر ، المرجع السابق،ص:32.

(6)-المرجع نفسه،ص:32.

(7)-صالح فركوس ،المرجع السابق،ص:100.

(8)-صالح حيمر، المرجع السابق،ص: 33.

***الــدوافع السياســية**: لقـد أرادت إسـبانيا إعـادة أمجـاد وممتلكـات الإمبراطوريـة القديمـة خاصـة بعـد اكتشـاف العـالم الجديـد، لـذلك عملـت علـى احـتلال سـواحل المغـرب الإسـلامي لمـا لـه من أهمية في إيصال بحري آمن بين السواحل الإيطالية والسواحل الإسبانية[1].

* **الــدوافع الاقتصــادية**: أدت الثـورة الصـناعية الـتي عرفتهـا أوروبـا أواخـر القـرنيين للقـرنين الثـامن عشـر وأوائـل القـرن التاسـع عشـر ميلاديـين إلى حاجـة الـدول الأوروبيـة إلى المـواد الخـام الـتي اعتمـدت عليهـا الصـناعات الجديـدة وعلـى رأسـها اسـبانيا لسـد حاجـة مصـانعها كافـة مـن المـواد الخـام، فانـدفعت اسـبانيا تبحـث عـن هـذه المـواد فوجـدت في بلـدان المغـرب الإسـلامي غايتها. [2]

كمـا كـان لتـأمين طـرق المواصـلات دورا بـارزا في تحريـك عمليـة الغـزو الصـليبي، إذ لجـأت الكثـير مـن الـدول إلى احـتلال منـاطق جديـدة وذلـك قصـد تـأمين طـرق المواصـلات إلى مسـتعمراتها في المنـاطق المختلفـة، مـن أجـل حمايـة ممتلكاتهـا والمحافظـة علـى مصـالحها الحيويـة، واسـتخدامها محطـات تجاريـة[3]. وبهـذا يمكـن تلخـيص الـدوافع الاقتصـادية في العناصـر التالية:

- احتلال مواقع استراتيجية بصفة دائمة واتخاذها قاعدة للتوسع الاستعماري داخل البلاد.
- استغلال الثروات الاقتصادية التي تزخر الجزائر

(1)-صالح حيمر ،المرجع نفسه ، ص ص :34،33.
(2) - المرجع نفسه ،ص: 33.
(3)-أحمد توفيق مدني، المرجع السابق، ص ص:79، 78.

- استغلال الموقع الجغرافي للجزائر باعتبارها بوابة للتوغل داخل القارة.(1)

* **الدوافع العسكرية**: كان هدف الاحتلال الإسباني للمناطق الاستراتيجية في الجزائر هو مراقبة السفن المارة بالمياه الإقليمية للبحر الأبيض المتوسط والتوسع في المغرب الإسلامي؛ كما طمحت من وراء هذا المشروع حماية ظهرها من أي عدوان قد يكون مصدره المغرب بحكم قرب المسافة بين المنطقتين.(2)

كما كان لإقامة قواعد عسكرية في شواطئ الجزائر، سببا مباشرا لتحريك مشروع الغزو، فهذا العمل قد يحول دون الاتصال بين الجزائريين ومسلمي الأندلس، حتى لا يتحصل هؤلاء على أية مساعدة من إخوانهم مسلمي الجزائر، وسعت إسبانيا إلى تأمين خطوط مواصلاتهم الهامة بين إسبانيا وإيطاليا، إتخاذ من القواعد الأمامية منطلقا لغزو المناطق الداخلية.(3)

2)- الاحتلال الإسباني للمدن الساحلية الجزائرية (887هـ-1505م/ 892 هـ - 1510 م): بعد سقوط آخر معاقل المسلمين بالأندلس واكتشاف الغزاة الأوربيين للعالم الجديد، تطلع الكاردينال خمينيس إلى التوسع في الخارج وذلك بإحتلال سواحل المغرب الإسلامي مما سيجعل الاسبان قوة بحرية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط.(4)

(1)-صالح حيمر،المرجع السابق،ص:34.

(2)-عبد حميد إبن أبي زيان إبن أشنهو ،دخول الأتراك العثمانيون إلى الجزائر،الجزائر:دط،1982م،ص:45.

(3) - المرجع نفسه،ص:47.

(4) - صالح عباد،الجزائر خلال الحكم التركي 1514م. 1830م ،الجزائر: دار هومه، ط:3، 2011م ،ص:26.

* **إحتلال المرسى الكبير سنة 887هـ /1505م** : إن سيطرة الإسبان على "مرسى الكبير" عام(887هـ/ 1505م) من أهم الأحداث السياسية والعسكرية التي عرفتها منطقة من البحر الأبيض المتوسط [1].

شرع خمينيس في تجهيز حملة عسكرية ضخمة ضد مرسى الكبير قصد إحتلاله وإتخاذه قاعدة عسكرية لتحركاتها المستقبلية لذلك أرسل بقيادة دون رايمون دي قرطبة[2]أسطولا مكونا ست سفن نوع حراقة وعدة مراكب كرافيل تحمل على متنها خمسة آلاف جندي ،لكنهم إضطروا إلى التوقف بسبب الرياح الشديدة[3]، فلم يصل الأسطول إلى المرسى الكبير إلا في يوم 11 سبتمبر من السنة نفسها وكان هذا التأخر في صالح الإسبان[4]،ذلك أن جماعة المسلمين الذين أتوا لمساندة إخوانهم بالمرسى الكبير عندما بلغهم نبأ إقلاع الأسطول الإسباني قد ملوا الإنتظار فرجع أكثرهم إلى ديارهم تاركين بالمرسى الكبير عدادا قليلا منهم من أجل المراقبة والاستطلاع حتى إذ ما تبين أمر العدو إستصرخوا قومهم فرجعوا إلى الميدان. [5]

أما حامية المرسى الكبير المرابطة لم تكن بإمكانها صد الجنود عند نزولهم إلى البر رغم المقاومة العنيفة التي أبدوها، ولقد إستمرت هذه المعركة غير المتكافئة ثلاث أيام، قاوم خلالها المجاهدون ببسالة إلى غاية أن إستشهد قائدهم خلال المعركة فإستسلموا، وإحتل

(1)-صالح عباد ،لمرجع نفسه،ص:18.

(2)-المرجع نفسه،ص:29.

(3) -L'eon Fey. La domination espagnole ,typochaphie Adolphe prrier éditeur 1858, p: 58, 59.

(4)- صالح عباد،المرجع نفسه، ص: 29.

(5)-أحمد توفيق مدني، المرجع السابق، ص ص:28،29.

الإسبان المرسى الكبير وتحصنوا به[1]، وأخلي المرسى الكبير من سكانه بعدما أعطى لهم الإسبان مهلة ثلاث أيام لمغادرته ولم يسمحوا لهم إلا بأخذ ما خف من أمتعة كما فرض عليهم تحرير عبيدهم النصارى.[2]

إستدعى الملك فرناندو دون ريمون دي قرطبة إلى إسبانيا لتهنئته ونقلت البشرى إليها بأكملها وأعلن بداية الإحتفال خلال ثمانية أيام القادمة حيث أن الصلاة التي ستقام في الكنائس لشكر الرب بمنح إسبانيا هذا النصر الذي لم يسترجع به أمن السواحل الإسبانية فقط بل أيضا فتح المجال لإحتلال المغرب الإسلامي بجيشهم على – حد عزمهم–، سيحفز الرأي العام الاسباني لمواصلة المشروع الصليبي.[3]

* **إحتلال وهران 891هـ/1509م:** بعد الاحتلال أن احتلت اسبانيا المرسى الكبير تطلعوا لضم وهران سنة891هـ/ 1509م تنفيذا لوصية إيزابيلا ملكة قشتالة التي توفيت سنة(886ه/1504م).[4]

لقد إرتبط إسم وهران بإسم الراهب الفرنسيسكاني خيمينس الذي أصر على أن يقود الحملة على وهران بنفسه ووصل لهذا الغرض إلى المرسى الكبير، فبدأ يعد العدة

(1) -L'eon Fey, op, Cit ,.p:59.

(2)- صالح عباد،المرجع السابق،ص ص:29،30.

(3)- المرجع نفسه ،ص ص:29،30.

(4)- أحمد توفيق مدني، المرجع السابق، ص ص:99.

لمحاصرتها وغزوها، إذ أبحرت من إسبانيا يوم 12ماي 981هـ /1509م عمارة بحرية تحمل بها حوالي خمسة عشر ألف جندي يتولى قيادتهم بدرو النفار(Pédro Navaro). [1]

كان حاكم المرسى الكبير قد وفركل الوسائل والأسباب من أجل تحقيق النصر،ولم يكن المسلمون المجاهدون في وهران أقل حمية أو عزيمة من الإسبان، فخرجوا للقاء العدو مستبسلين، ولكنهم كانوا أقل عددا وعدة مما إضطرهم إلى الرجوع إلى وهران والإحتماء بحصونها وأسوارها المنيعة. [2]

تتفق كل الروايات أن يهودي إسمه سطورة[3]هو الذي حضر لعملية فتح باب المدينة ليتمكن الإسبان من دخولها وهو الذي إشتراه حاكم المرسى الكبير[4]، وبينما كان المسلمون يدافعون على مدينتهم وراء أسوارها التي تجمعت الجموع الإسبانية في بوابة من بوابات المدينة والذي أطلق عليه إسم البوابة الإفريقية وهي التي وقع الإتفاق عليها من قبل ،وقام سطورة والقائدان الخائنان العاملان تحت إدارته عيسى العربي وإبن القانص بفتح البوابة فتوغل الإسبان إلى داخل المدينة يقتلون دون إعتبار للسن والجنس[5].

رغم هول الفاجعة إلا أن سكان المدينة إستماتوا في الدفاع عن شرفهم وممتلكاتهم، وإلتجأ بعضهم إلى المسجد الأعظم ليتحصنوا به وإستمروا بالمقاومة اليائسة مدة خمس أيام

---

(1)-أحمد توفيق مدني، المرجع نفسه،ص:99.

(2)-المرجع نفسه ،ص:100.

(3)-سطورة : يهودي يكتب إسمه مرات سطورة ومرات أخرى أشطورة كان قابض المكوس العام لمدينة وهران ا،ينظر:صالح عباد ،المرجع السابق،ص:30.

(4)-المرجع نفسه،ص:30.

(5)-المرجع نفسه،ص:30.

إلى أن قتلوا وأخذ الباقون كأسرى[1]، لم تكن الخيانة هي السبب الوحيد الذي أدى إلى إحتلال وهران، فقوة الجيش الإسباني وتفوقه العددي كانا لهما دورا كبيرا في ذلك[2].

– **إحتلال بجاية 892هـ/1510م:** لم يتوقف الإسبان عند هذا الحد بل أخذوا يتحرشون بمدينة بجاية التي كانت تخضع للأمير الحفصي يدعى عبد الرحمان، وينافسه في الحكم أخوه عبد الله ،توجه الأسطول بقيادة بيدرو نفارو إلى بجاية التي وصلها يوم 5 جانفي من سنة(892هـ/ 1510م) ولقد إحتلها الإسبان دون أية مقاومة[3]ولكن أحمد توفيق المدني يذكر في كتابه الموسوم بـ "حرب ثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا" أن الإسبان لقوا مقاومة عنيفة من سكان المدينة الذين تسلقوا مرتفعات جبال قوريا لكي تمنع الإسبان من النزول إلى البر[4] وأخذت المدفعيتان البجائية والإسبانية تتبادلان رمي القذائف لكن إسبان تمكنوا رغم ذلك من الوصول إلى أعلى مدينة وتمكنوا من إحتلالها. [5]

– **الجزائر توقع على معاهدة الإستسلام 892 هـ/1510م:** لم يقتصر النفوذ الإسباني على المدن التي سيطروا عليها بالقوة فحسب بل إمتد ليشمل كل المدن الساحلية تقريبا فقد دان لهم حاكم تنس[6]الذي كان يوفر لهم موؤنة فلما علم سكان مدينة الجزائر بسقوط بجاية في يد الإسبان سارعوا إلى إرسال وفدا عنهم إلى بجاية ليعلنوا إستسلام مدينتهم،كما

[1]–أحمد توفيق مدني ،المرجع السابق،ص:100.

[2]–يحي بو عزيز ،الموجز في تاريخ الجزائر،ج:2،الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 2009م،ص ص:9،11 .

[3]– المرجع نفسه ،ص ص:30،31.

[4]–أحمد توفيق مدني، المرجع السابق،ص:100.

[5]–المرجع نفسه، ص:109.

[6]–نزح أمير تنس إلى إسبانيا مع عائلته و إعتنق النصرانية في مدريد و سمي بإسم كارلوس و إتخذت زوجته إسم دونا ماريا و إبنته سماها دونا جوانا،ينظر: صالح عباد،المرجع السابق،ص:35.

قام بذلك شيوخ متيجة وفي يوم 31 جانفي وقع مندوبون على مدينة الجزائر معاهدة إستسلام يعترفون بالسيادة الإسبانية. (1)

قام الإسبان بتوسع في المناطق الأخرى منها مستغانم التي وقعت على معاهدة إستسلام في26 ماي من السنة نفسها يلتزمون من خلالها بدفع الضرائب للإسبان. (2) كما إحتل الإسبان المناطق الإستراتجية الهامة في البلاد لما تمثله من أهمية كبيرة لها وكان ذلك إما عن طريق الحملات العسكرية أو عن طريق معاهدات التي كانت يعقدها أعيان وزعماء المدن تخوفا من الإسبان أو تجنبا للقتال. (3)

لقد إستطاع الإسبان إحتلال بعض المناطق في الجزائر نظرا للظروف التي كانت تمر بها منها تطاحن حكام المملكة الزيانية على الحكم، وضعف القوات الجزائرية أمام القوات الإسبانية التي كانت تفوقهم عددا و عدة.

المبحث الثاني :تدخل العثماني في الجزائر902هـ/1512

كان العالم الإسلامي يعيش حالة من الضعف والانحطاط خاصة لكن ظهور ومحاولة العثمانيين إنقاذ كان سببا في بقاء العالم الإسلامي الذي كان ينهار شيئا فشيء، فكانت لهم مساع كثيرة من أجل إنقاذ مسلمين، ولنا أن نتساءل هل كانت الخلافة العثمانية قادرة في تلك الفترة على التدخل عسكريا داخل الجزائر؟ للإجابة على هذا

(1)-صالح عباد،لمرجع نفسه،ص ص :34،35.

(2)-أحمد توفيق المدني، المرجع السابق،ص:35.

(3)-المرجع نفسه،ص:35.

التساؤل المنطقي والواقعي، وجب علينا إدراك رهانات المواجهة بين القوتين المتصارعتين العثمانية والاسبانية؛ وهي رهانات لا يمكن إطلاقا أن تمنح أحقية أخذ مبادرة نقل العثمانيين مواجهتهم العسكرية على أرض اسبانيا نفسها[1]، إذ كل الدلائل والمؤشرات والحقائق، لا تسمح أبدا بتبني مثل هذه المجازفة الخطيرة والتي ستؤدي حتما إلى إلحاق خسائر كبيرة بالأسطول العثماني وجيشه.[2]

1)- **الظروف المحركة للتواجد العثماني بالجزائر**: خلال تعرض الجزائر للإحتلال الإسباني كان البحر الأبيض المتوسط مسرحا للإنتصارات المدوية التي أحزها الإخوة بربروس[3] هؤلاء وضعوا أنفسهم في خدمة الخلافة العثمانية[4] منهم عروج الذي ذاق مرارة الأسر في سفن النصارى، فخطط لهروبه وبعد أن قام بذلك عمل بالسفن الحفصية، إتخذ من جزيرة جربة قاعدة بحرية له ولقواته في سنة 885هـ /1503م جمع فيها المتطوعين وأعد فيها السفن وباشر من هناك نشاطه الجهادي وسرعان ما إشتهر إسمه في عمليات الجهاد البحري ضد الغارات الإسبانية.[5]

---

[1]- إن الوضع السياسي للخلافة العثمانية أثناء حكم السلطان أحمد الأول كان وضعا دقيقا وصعبا، حيث عرفت الدولة العثمانية عددا من المشاكل الداخلية والهزائم البحرية مع النمسا وبلاد فارس؛ بالإضافة إلى ظهور حركات تمرد وعصيان في الكثير من الولايات العثمانية؛ كل هذه الظروف ساهمت بشكل مباشر في انشغال الخلافة العثمانية عن قضية مسلمي اسبانيا وحلها بالطرق العسكرية. ينظر: التميمي عبد الجليل، رسالة سلطان أحمد الأول إلى دوق البندقية، المرجع السابق، ص :8.

[2] - المرجع نفسه،ص:9.

[3]-إخوة الأربعة هم خير الدين وعروج وإسحاق و محمد إلياس أبناء من أصل تركي بإقليم الروملي، أبوهم يعقوب بن يوسف من جزيرة مدلي (ميتلان) في الأرخبيل اليوناني، ويحترف صناعة الفخار ولد عروج حوالي 1473م وخير الدين في العام الموالي وكان هذان الأخيران يبيعان الفخار لأبيهما في الجزائر ينظر: كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر1510م .1541م،تر:جمال حمدانة، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية،ص:26.

[4]-المرجع نفسه،ص:26.

[5]-يحي جلال، تاريخ المغرب العربي،ج:3،بيروت:دار النهضة للطباعة والنشر،دط، 1981م،ص:6.

إبتداء من عام 894هـ /1512م بدأ نجم إخوة بربروس[1] العثمانيون[2] يخترق الأفاق وأخذت إنتصاراتهم يعلو صداها ضد القراصنة الاسبان في عرض البحر لذلك إتصل علماء وأعيان مدينة الجزائر وأمير الحفصي أبو بكر من العام نفسه وإستصرخوه لنجدتهم وإنقاذ بجاية من الاحتلال الإسباني[3]، فقام خير الدين وعروج بجمع رجالهما وتشاوروا في الأمر وقرروا تلبية النداء[4]،جاء العثمانيون إلى الجزائر بسبب رغبتهم في الجهاد وإهتمامهم بمواجهة العثمانيون بالقضاء على الفوضى التي كانت تتخبط فيها البلاد[5].

أعلم عروج وخير الدين المجاهدين أنهم قادمون وأخذت وفود تتوارد إلى مدينة الجزائر وعند وصولهم زحفوا إلى مدينة بجاية بعمارة بحرية إنطلاقا من حلق الوادي ولكنهم لم يحققوا نجاحا بسبب التحصينات الإسبانية وتعاون أمراء قلعة بني عباس مع الإسبان، وقد جرح عروج أثناء محاولته إقتحام مدينة بجاية فإضطر للرجوع الفوري إلى تونس من أجل معالجة ذراعه[6] لكن لم يجد الأطباء يومئذ علاجا سوى بترها ،وبالتالي فقد عروج ذراعه لكن لم يفقد عزيمته وصلابته فصمم على فتح جيجل. [7]

---

[1]-**بربروس**: أي ذي لحية الشقراء،أطلق النصارى هذا اللقب على كل من أخوين اللذين أصبحا مصدر الرعب والفزع في بلاد النصارى وفي بحرها،ينظر:يحي بو عزيز،المرجع السابق،ص:10.

[2]-ينتمي العثمانيون إلى قبائل الغزالتركتسانية بقلب أسيا الصغرى (أناضول) أسسوا إمارتهم على حساب الإمبراطورية البيزنطية بعد فتح عاصمتها (إستانبول) على يد محمد الثاني الفاتح عام 1453م وقد توسعت الإمارة العثمانية في أواخر القرن 15م فشملت كامل بلاد البلقان والجنوب الغربي من أروبا وجزر بحر الأرخبيل و تركت في كل قطر من أقطار التي فتحتها نخبة من المسلمين لنشر الدين الإسلامي و لقد جاء العثمانيون إلى الجزائر الذين إعتبروا إخوانا لنا في الدين و حالوا دون تنصيرها،ينظر:مؤلف مجهول، سيرة مجاهد خير الدين،لجزائر:دار القصبة للنشر،دط،2009م،ص:6.

[3]-يحي بو عزيز،المرجع نفسه، ص:10.

[4]-أحمد توفيق مدني، المرجع السابق،ص :148.

[5]-إبن زرفة ،الجامعي،تاريخ مدينة وهران من الإحتلال الإسباني،ج:1،تح:مختار حساني،مخبر المخطوطات،دط،2003م،ص ص:11.

[6]-أحمد توفيق مدني، المرجع السابق،ص ص :150،151.

[7]-المرجع نفسه،ص ص:150،151.

2)- المواجهات الأولى بين العثمانيين والإسبان:

لقد إشتدت المواجهات الإسبانية العثمانية وخاصة في البداية لرغبة كلاهما في تحقيق الإنتصار و هزم الديانة المعادية له ومن أهم المعارك التي خاضاها هذان الأخيران و التي حقق فيها العثمانيين أغلبية الإنتصارات هي:

* **تحرير جيجل من الإسبان897هـ/1515م**: عزم عروج على تخليص جيجل من الإحتلال الإسباني التي تقع على بعد 102 كيلومترا غربي بجاية ليتخذ منها نقطة إنطلاق ويجعلها مركز تجمع لمجاهدين، فقدم على رأس عمارته البحرية ودخل في مناوشات حربية مع الإسبان إنتهت المعركة بتحرير المجاهدين لمدينة جيجل وإتخذ منها قاعدة عسكرية لتحركاته المستقبلية التي كان الهدف منها تحرير بجاية وباقي المناطق الجزائرية المحتلة[1].

* **تحرير مدينة بجاية 894هـ/1512م**: عاد عروج بإتفاق مع حليفه إبن القاضي[2] الذي ساعده في هجومه على جيجل لمحاصرة بجاية في أوت من سنة 923هـ /1541م حيث شرع في قصف المدينة بالمدافع بينما حاصها المجاهدون برا وتمكنوا من السيطرة على قلعتها لكن المدينة إستعصت عليه وظل يحاصرها لمدة ثلاث أيام وصلت خلالها الإمدادات الإسبانية متكونة من حوالي خمسة ألاف رجل يقودهم ماشين دي فانتورا، أمام هذه الوضعية

---

[1]-أحمد توفيق مدني، المرجع نفسه، ص:152.

[2]-**أبو العباس إبن قاضي**: تولى القضاء ببجاية و عندما إحتلها الإسبان إستقر ببلاد القبائل الكبرى جرجرة حيث تمكن من تكوين إمارة بقلعة كوكو سنة 1511م و دخل في نزاع مع خير الدين و تمكن من طرده ما بين(1520م. 1525م) على أن أمره انتهى بعد تحول السكان عنه و هزيمته أمام قوات خير الدين و قتله أحد من أتباعه بالقرب من ثنية بني عائشة،ينظر:صالح عباد،المرجع السابق،ص:35.

الجديدة طلب عروج من السلطان الحفصي توفير إمدادات العسكرية له فرفض ذلك فإضطر إلى الإنسحاب[1].

* **تحرير مدينة الجزائر911هـ/1529م:** في الوقت الذي حاول فيه عروج تحرير مدينة بجاية أوفد سكان مدينة الجزائر شخصيات بارزة لإقناعه وترجيه لتخليصهم من ظلم النصارى فقبل بهذا الطلب، فكانت الحملة الأولى في سنة 898هـ / 1516م وكان القسم الأكبر من الجيش الذي بقيادة عروج من البر بينما جاءت التعزيزات والإمدادات بقيادة خير الدين من جهة البحر، وباشر بحفر خندق ونصب مدفعيته مقابل القلعة، وبدأ بالهجوم عليها بعد إنذارهم بضرورة الجلاء من القلعة، غير أن ضعف مدفعيته منعته من تحقيق النتائج المرضية، وبعد عشرين يوم رأى سكان مدينة الجزائر أن عروج لم يحقق أي تقدم ولم يتحمل سليم التومي[2]غطرسة العثمانيون وسوء معاملتهم له مما أغضب السكان فدبروا مؤامرة له للتخلص من خصم قوي الذي يزاحمه في تسيير شؤون المنطقة،لكن عروج تفطن لذلك. [3]

---

[1]-صالح عباد، المرجع نفسه، ص:45.

[2]-**سليم التومي**: حكم مدينة الجزائر سنة 1510م ينتمي إلى قبيلة الثعالبة فرع بني تومي ، عقد سليم التومي بصفته شيخ مجلس المدينة مع القائد الإسباني بيدرو نافارو معاهدة استسلام ، ينظر: كورين شوفاليه ،المرجع السابق ،ص:30.

[3]-صالح عباد،المرجع نفسه، ص:45.

2)- ردود فعل الإسبان من إنتصارات عروج: إعتبر الإسبان استقرار عروج وأخويه بمدينة الجزائر خطرا شديدا عليهم وعلى مستقبلهم وعزموا على مقاومته وتحطيم سلطته وطرده،إذ تحالفوا مع أمير تنس يحي إبن سالم التومي الخاضع لهم. (1)

وصل الأسطول إلى الجزائر أواخر سبتمبر898هـ/ 1516م ونزل قرب باب الواد، فتركهم عروج حتى وصلوا إلى البر، ليزحف بقواته عليهم، فقتل الكثير منهم وأسر الباقي وكانت هذه الكارثة مهولة بالنسبة للإسبان إذ لم يكد يخف إبتهاجهم حتى أعلن سكان البليدة ومليانة والمدية ودلس وبلاد القبائل خضوعها لعروج. (2) ي

- تحرير مدينة تنس: كان موقف أمير تنس الزياني مخزيا إذ تعاون مع الإسبان فكان يوفر لهم المؤونة وكل متطلباتهم (3) لذلك قرر عروج الإنتقام وإخضاع المدينة، فذهب إليهم على رأس قواته و إقتحمتها في شهر جوان 899هـ/ 1517م وإفتكها من أمير تنس وقتله وطرد الإسبان المتمركزين بها، ثم قسمها إلى قسم شرقي مركزه دلس ليشرف عليه أخوه خير الدين وقسم الغربي مركزه مدينة الجزائر يحكمها بنفسه. (4)

---

(1)-صالح عباد، المرجع نفسه، ص:45.

(2)-يحي بو عزيز، المرجع السابق،ص ص:13،14.

(3)-عبد حميد إبن أبي زيان إبن آشنهو، المرجع السابق،ص:107.

(4)-يحي بو عزيز ، المرجع نفسه، ص:14.

– **تحرير مدينة تلمسان899هـ/1517م**: بينما كان عروج في تنس ينضم أمورها ويصلح في شوؤنها، حضر إليه وفد من سكان مدينة تلمسان ليشتكي له من الأوضاع المزرية التي آلت إليها منطقتهم و تهديد الإسباني الدائم لها [1].

لبى عروج طلب الوفد مستخلفا أخاه خير الدين على مدينة الجزائر فإتجه إلى تلمسان ومر على قلعة بني راشد فوضع بها حامية عسكرية تحت إمرة أخيه إسحاق ثم زحف إلى تلمسان وتغلب على أبي حمو الثالث و أخرج أبي زيان من السجن وولاة تسير شؤون المنطقة[2].

وإعتبر الإسبان الوجود العثماني في المنطقة خطرا كبيرا، فأسرع الحاكم الإسباني على وهران دي كوماريس الى إسبانيا وإلتقى بكارلوس الخامس[3]شارحا له خطورة الموقف، عندها قرر الملك إرسال حملة عسكرية لتدارك الوضع قبل أن يتمكن العثمانيون من تحرير مدينة وهران[4].

***– الهجوم الإسباني على قلعة بني راشد وإستشهاد عروج وإسحاق (900هـ/1518م)**: وصل الجيش الإسباني إلى مرسى آرشقون آتيا من إسبانيا وحينها إحتمى عروج بالمشور لعدة أيام ثم غادرها ليلا في إتجاه بني يزناسن قرب ساحل البحر

(1)–يحي بو عزيز ، المرجع نفسه،ص:14.
(2)–المرجع السابق، ص:14.
(3)–**كارلوس الخامس** (1480م. 1520): إبن فلبب من أمه إيزابيلا و فرديناد أصبح ملكا على إسبانيا 1516م ، تنازل عن عرشه إسبانيا لإبنه فليب الثاني و عن ألمانيا و ما يتبعها لابنه فرناندو؛ ينظر: صالح عباد، المرجع السابق،ص:102.
(4)–عبد الحميد بن أبي زيان إبن آشنهوا،المرجع السابق،ص:76.

ولكن الإسبان تفطنوا لخروج عروج وإسحاق في قلعة بني راشد فحزو رأس عروج وأرسلوه إلى اسبانيا حيث طيف به معظم المدن(1).

3)- إلتحاق الجزائر بالخلافة العثمانية902هـ/1520م: لقد حاول سكان مدينة الجزائر الحفاظ على أمن بلاد الجزائر ووجدوا في تعين خير الدين حاكما عليهم حلا لهم من أجل ضمان إستقرارهم.

* **قرار مغادرة خير الدين للجزائر:** بعد إستشهاد عروج إستعصت الأمور على أخيه خير الدين لما رآه من كثرة المتآمرين عليه وتمرد بعض السكان،قرر مغادرة البلاد والإلتحاق بالخلافة العثمانية في إستانبول(2).

لما علم سكان مدينة الجزائر بخبر مغادرته إجتمع العلماء والأعيان مطالبين إياه بالبقاء فرد عليهم وقال لهم « **إني قد عزمت على سفر إلى حضرة السلطان و أمنت بلادكم من العدو بما تركت فيكم من مجاهدين ومن وصل إليكم من أهل الأندلس وما تركت عندكم من العدة لأني تركت في بلادكم أكثر من أربعة مئة مدفع ولم يكن في بلادكم إلا واحد** » فقالوا له « **يا أيها الأمير لا تطيب لنا أنفسنا بفراقك ولا نسمح بذلك فالله و أمة سيدنا محمد فإن الله يسألك عنهم**»(3)

(1)-يحي بو عزيز، المرجع السابق، ص:15.

(2)-عمار عمورة ،الجزائر بوابة التاريخ ،ج:2، الجزائر: دار المعرفة،دط،2009م،ص:49.

(3)-جمال قنان، نصوص ووثائق في التاريخ الجزائر الحديث1500م-1830 م،الجزائر:دار الرائد للكتاب،دط،2010م،ص: 54.

عندها رد عليه علماء الجزائر فقالوا له« **يا أيها الأمير يتعين جلوسك في هذه المدينة لأجل حراستنا والذب من ضعفاء أهلها ولا رخصة لك في الذهاب عنهم وتركهم عرضة للعدو**» فأجابهم خير الدين قائلا « **أنتم رأيتم ما وقع من الملاعين الكافرين ولايؤمن من عواملهم وقد ظهر لي من الرأي أن تصل يدنا بطاعة السلطان الأعظم مولنا السلطان سليم فيمدنا بالمال والرجال وما نحتاج إليه من آلة الجهاد ولا يكون ذلك بصرف الخطبة إليه و ضرب السكة عليه**»[1] بناء على ذلك كتب سكان أهل المدينة رسالة إلى السلطان العثماني، يخبرونه بصرف طاعتهم إليه خضوعهم وولائهم وتعيين خير الدين.

* **تعين خير الدين حاكما على الجزائر**: قبل السلطان سليم الأول طلب أهل الجزائر تردد،وعل إثر هذا عين خير الدين "باي لارباي" أمده بحامية مؤلفة من ألفي إنكشاري ونحو أربعة آلاف متطوع،تمتع هؤلاء بإمتياز الإنكشارية، مزودين بالسلاح والذخيرة، كما أعطى له حق ضرب السكة أي أمير الأمراء وبهذا دخلت الجزائر طورا جديدا فقام خير الدين بتنظيم الجيش الإنكشاري ورياس البحر أي وأصبحت مدينة الجزائر منذ هذا عصر من أهم مراكز الجهاد في البحر الأبيض المتوسط[2] .

إستطاع خير إسترجاع أمن البلاد خاصة بعد أن تمكن من قضاء على تمرد سكان مدينة الجزائر الذين دبروا له مؤامرة للتخلص منه إلا أن حنكته وخبرته مكناه من الرد

[1]-جمال قنان، المرجع نفسه، ص: 54.

[2]-المرجع نفسه،ص: 54.

عليها،وقمعها وبذلك ثبت خير الذين نظام الحكم العثماني في الجزائر إذ أصبحت هذه الأخيرة من أقوى الولايات العثمانية. [1]

[1]-جمال قنان، المرجع نفسه،ض:54.

الفصل الثاني

الرؤية التاريخية لمسألة الجهاد البحري
من خلال بعض المصادر الغربية والعربية

المبحث الأول: نظرة الأوروبيين للعمل البحري الجزائري.

المبحث الثاني: منظور المدرسة التاريخية العربية في مسألة الجهاد البحري

المبحث الثالث: التفسير التاريخي لمسألة الجهاد البحري .

المبحث الرابع:الأدلة التاريخية والمادية على شرعية عمل الأسطول الجزائري

1) المبحث الأول : نظرة الأوربيين للعمل البحري الجزائري.

كلمة القرصنة تعني التسابق البحري والإعتداء على السفن وسواحل الدول الأجنبية ومنها إشتقت كلمة قرصان ، وقد إستعمل الفرنسيون قبل القرن السادس عشر كلمة " attaque " أي الهجوم وكلمة "Ecumeur " بمعنى القرصان أو المهاجم ومع بداية القرن السادس عشر بدأ تعميم كلمة " corsaire " على مستوى كل أوربا. [1]

إقترن نشاط البحرية الجزائرية بأوصاف عديدة كاللصوصية، فوصفت الجزائر بوكر القراصنة واللصوص رغم أن الإيالة الجزائرية قد مارستها مثل أية دولة بحرية في المشرق والمغرب بمفهومها الشرعي والقانوني الذي يحدده قانون البحر والأعراف الدولية[2]، إلا أن الأوربيون وصفوا الجزائر بأنها مركز اللصوصية ووكر للقراصنة ومأوى لقطاع الطرق واللصوص. [3]

1) فرق بين القرصنة ولصوص البحر والقورصو :لقد تعددت التسميات التي أطلقها الأوربيين على النشاط الأسطول البحري الجزائري منها القراصنة ولصوص البحر وقورصو ولقد تداخلت هذه المصطلحات في معناها وجائت كالتالي:

---

(1)–محمد بن سعيدان ، علاقات الجزائر مع فرنسا مذكرة لنيل شهادة الماجستير ،جامعة غرداية2011م– 2012 م، ص: 205.

(2)– محمد بن جبور، البحرية الجزائرية أواخر العهد العثماني، مجلة العصور ، الأعداد 12– 13 –14 ، 2008–2009 م ، ص : 19.

(3)– يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص: 184 .

* **القراصنة** (Les Corsaires): كلمة القرصنة (Le Corsaire) مقتبسة من لغة الإيطالية أي لغة إيطالية أي (Corsaro) [1] وتعني هذه الكلمة في اللغة العربية لصوصية البحر وهم الذين يقومون بالنهب والسطو[2] والقرصنة في البحر تعني السطو على سفن البحارة أما كلمة لص فتعني السارق و هو الذي يقوم بالنهب[3] ولكن يعرف إسحاق زيتوني في دراسته الموسومة بـ"البحرية الجزائرية وتأثيراتها في العلاقات الجزائرية الفرنسية السياسية" القرصنة على أنها الأعمال التي يقوم بها الأشخاص مدفوعون من طرف حكوماتهم، إذ كانوا يتحصلون على تصريحات مكتوبة قانونية المعروفة بإسم«**رسالة العلامة**» التي تسمح لهم بمجابهة السفن التجارية للدول الأعداء وفي الواقع كانت القرصنة تعتبر بمثابة المراقبة للأعمال التي يمارسها لصوص البحر إذا كانت تسعى من أجل تقليص العنف[4]، و هي نوع من الحرب تقوم فيه الدلو بإشراك الخواص من أصحاب السفن في تكاليف وفوائد البحرية[5].

* **لصوص البحر (Les pirate)** ولصوصية البحر (La Piraterie) مشتقة من كلمة لاتنية (Pirata) [6] وتعني كامة لص البحر في اللغة العربية هو السارق أو من يفعل شيأ في

(1)- سهيل الإدريسي،المنهل،بيروت:دار منشورات دار الأدب،دط،2007،ص:206.

(2)-عبد القادر حامد،محمد علي النجار، المعجم الوسيط، تركيا:المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، دط،2001م،ص: 713.

(3)-صالح العلي الصالح،المعجم الصافي في اللغة العربية،لبنان: دار الهدى، دط، دس، ص:798.

(4)-إسحاق زيتوني ، البحرية الجزائرية وتأثيرها في العلاقات الجزائرية الفرنسية السياسية، مذكرة لنيل شهادة ماجستير ، جامعة غرداية ، 2011 م – 2012 م ، ص ص: 16، 18 .

(5)-المنور مروش ، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني القرصنة الأساطير والواقع،ج :2 ،الجزائر:دار القصبة للنشر ، د ط 2009 ، ص ص: 8 . 149

(6)- سهيل الإدريسي،المرجع السابق،ص:102.

الستر ولصوصية هي من من فعل تلصص معناه تكرار السرقة ولصوصية البحر هي تكرار في سرقة السفن[1]، ظهرت هذه الأخيرة من بداية القرن الرابع إلى التاسع عشر ميلادي وتعد من أكبر النشاطات البحرية في حوض البحر الأبيض المتوسط، ومن صفات لصوصها عدم الوفاء لأي دولة أو حكومة فهم يعملون على أساس مصلحتهم الشخصية ولا قانون لهم يحترمونه أو يتحكمون إليه. [2]

لكن هناك من يرى أن القرصان يقصد به لص البحر وهو الشخص الذي كان حرا في النهب ولا يعترف بأي سلطة فهو يقوم بعمليات مغامرة أكثر مما هي للصالح العام غير أن القرصان يعطي لمهمته الطابع الشرعي[3]، بالرغم من هذا إعتبر الأوربيون النشاط البحري الجزائري هو عملا عدائيا يتنافى والقانون الدولي وما تقتضيه حرية التجارة والتبادل المثمر بين الدول[4].

* **القورصو**: تداولت كلمة القورصو وجدت بين الأوربيين والمسلمين وهي شكل من أشكال العنف خاص بالبحر المتوسط، له خصائص تقربه من القرصنة ومن لصوصية البحر معا لكنه سلوك متعارف عليه ومقبول من الطرفين وسمي بإسم «**الحرب المقدسة**» وهي من النشاطات التي تميز بها بعض الدول المتوسطية مثل مالطا والإيالات المغاربية، خلال القرنين الأوليين من العصور الحديثة كانت حالة القورصو محل شكاوي رسمية من الدول

---

(1)-مسعود جبران،معجم ألفبائي في اللغة العربية،لبنان:دار العلم للملايين،ط:3، 2005م،ص:573.

(2)-إسحاق زيتوني،المرجع السابق ،ص:17.

(3)-المرجع نفسه، ص ص: 17 ، 18 .

(4)-ناصر الدين سعيدوني ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر،الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، د ط ، 1984 م، ص : 154.

الأوربية لدى العثمانيين على أساس أنها إعتداء

نلاحظ من خلال المعطيات التي تم استنباطها من مجموع المراجع المعتمد عليها في تحرير هذا العنصر أنه هناك خلط كبير وتداخل بين هذه التعاريف، إلا أنه ما يلاحظ عليها أنها تصت كلها في قالب واحد ألا وهو أن القرصنة عمل غير مشروع مهما صبغ بمفاهيم واسقاطات سياسية وعسكرية، على أنه يمكن ملاحظة أمر مهم أنه لا يمكن تحت أي ظرف من الظروف التأسيس للشرعية لمثل هذه الأعمال.

2) المبحث الثاني: منظور المدرسة التاريخية العربية في مسألة الجهاد البحري

إختلفت نظرة المدرسة التاريخية العربية للعمل البحري الذي كان يقوم به الأسطول الجزائري وقد إعتبرت أن الجهاد البحري فريضة يحمله البعض على البعض الآخر[1]، إذ رفع الجزائريون المسلمون راية الجهاد في سبيل الله في البر والبحر بصورة عامة، وما قام به المجاهدون فوق أرض الجزائر أكد وبصورة خاصة على أنه دفاعا عن أرضهم وعرضهم وأموالهم وإحباطا لأعمال العدوان، وقد سجلت المصادر التاريخية الكثير من العبارات الدالة على ذلك مثل النص التاريخي الآتي: « **ما كاد المجاهدون يسمعون بإقتراب العدو الكفار حتى يندفعون إلى ميادين الجهاد حتى تضيق بهم الأرض** ». [2]

(1)- جمال قنان ، المرجع السابق ، ص: 43 .

(2)- بسام العسيلي، الجزائر والحملات الصليبية ،بيروت: دار النفائس، ط: 3،1986م،ص ص:186، 187.

لقد كانت الجزائر هي **«دار الجهاد»** أو **«جزائر المغازي»** [1] و**«جزائر الإنتصارات والحملات ضد الكفار»**، وكان الرياس والجنود البحريون معتبرين كمجاهدين ومن كان يسقط في ميدان المعارك يعتبر من الشهداء الذين وعدهم الله بحياة الخلود في الجنة.[2]

*__تعريف الجهاد__ كان الجهاد في سبيل الله فرضا، مصداقا لقوله تعالى: **﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾**[3]، وقوله أيضا سبحانه وتعالى: **﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**[4].

فإذا هجم العدو على بقعة من بلاد المسلمين مهما صغرت، وجب على أهلها دفاع عنها، فإن لم يستطيعوا وجب على من بقربهم وهكذا، حتى يعم الواجب على جميع المسلمين، ولا نعني بالبلد، أو البقعة النطاق الجغرافي الرسمي لكل بلد، فبلد الإسلام من شرقه إلى غربه بلد واحد، وأمة الإسلام أمة واحدة، فلو قدر أن بلدا في دولة إسلامية

[1]- للإطلاع على نص الرسالة،ينظر: ملف الوثائق العثمانية، رقم: 3205 الرسالة رقم:20،المكتبة الوطنية بالحامة الجزائر
[2] - محمد بن سعيدان ، المرجع السابق ، ص: 45 .
[3]- سورة البقرة، الآية رقم: 216.
[4]-سورة التوبة، الآية رقم: 41.
[5]- محمد بن سعيدان ، المرجع السابق ، ص: 45 .

تعرض لغزو وكان محاذيا لبلد في دولة أخرى، لكان الوجوب أسرع إلى البلدة المحاذية منه إلى المدن الأخرى البعيدة.(1)

فالجهاد مأخوذ من الجهد والتعب فمعنى الجهاد في سبيل الله هي مبالغة في إتعاب النفس في ذات الله سبحانه وتعالى وإعلاء كلمة الله التي جعلها طريق إلى الجنة وسبيلا إليها والجهاد ينقسم إلى أربعة أقسام(3):

– **الجهاد بالقلب**: هو جهاد الشيطان ومجاهدة النفس للإبتعاد عن الشهوات المحرمة .

– **الجهاد باللسان**: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

– **الجهاد باليد** : زجر الحكام وأهل الأباطيل والتعدي وإقامة الحدود عند وجوبها .

– **الجهاد بالسيف** : قتل المشركين والمارقين عن الدين.(5)

فكل من أتعب نفسه في ذات الله تعالى فقد جاهد في سبيله إلا أن **«الجهاد في سبيل الله»** إذا أطلق فإنه لا يقع بإطلاقه إلا على مجاهدة الكفار بالسيف حتى يدخلوا

(1)-أحمد إبن أبي ضياف ، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان،تح:لجنة من كتاب الدواة وشؤون الثقافية وأخبار تونس،الدار التونسية،دط،1976م، ص : 64.

(2)- محمد بن سعيدان ، المرجع السابق ، ص: 45 .

(3)-المرجع نفسه،ص:67.

(4)-المرجع نفسه، ص: 45 .

(5)-أحمد إبن أبي ضياف، المصدر السابق، ص: 64.

(6)- محمد بن سعيدان ، المرجع السابق ، ص: 45 .

الإسلام[1]، وأحب عليهم أن لا يقاتلوا العدو حتى يدعوا إلى دين الله فإما أن يسلموا أو يؤدو الجزية ولا يقتل النساء والصبيان ويتجنب قتل الرهبان.(2)

ولقد شرع الله قتال المشركين مبينا ذلك في قوله عز وجل: ﴿ **وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً**﴾.(4)

***فضائل ومميزات الجهاد البحري** : تفوق الجهاد البحري على الجهاد البري في نقاط عديدة وذلك لقول إبن قدامة « **غزو البحر أفضل من غزو البر لأن البحر أعظم خطرا ومشقة فإن المجاهد يكون بين خطر العدو وخطر الغرق ولا يتمكن من الفرار إلا مع أصحابه فكان أفضل من غيره** » ويتميز الجهاد البحري على الجهاد البري في عدة نقاط منها(6) :

* **الغزو في البحر أفضل من الجهاد في البر** : بين النبي صلى الله عليه وسلم فضل الجهاد البحري على غيره من أنواع الجهاد بالحديث المروي من قبل بن عبد الله بن عمر بن

(1)- أحمد إبن أبي ضياف المصدر نفسه ، ص : 64 .
(2)-- محمد بن سعيدان ، المرجع السابق ، ص: 46
(3)-المرجع نفسه، ص: 45 .
(4)-سورة التوبة ، الآية 31 .
(5)- محمد بن سعيدان ، المرجع السابق، ص: 45 .
(6)- مسلم اليوسف، الجهاد البحري أهميته وفضله وبعض مميزاته، http:llqawim.net، الساعة:17:15 ، اليوم:2014/03/05،ص:5.
(7)- محمد بن سعيدان ، المرجع نفسه، ص: 45 .

العاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« ... **غزوة في البحر خير من عشرة غزوات في البر ومن أجاز البحر فكأنما أجاز أودية كلها ...** [1]»

* **شهداء البحر أفضل درجة من شهداء البر** : لا شك أن الشهداء يمتلكون مكانة كبيرة وذلك لقوله تعالى: ﴿**لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ**﴾[2]، فضل الله تعالى المجاهدين على القاعدين غير أولى الضرر أي الأشخاص الذين تتوفر لهم الأعذار لترك الجهاد،وأخبر سبحانه بما فضله به من درجات في غرف الجنان العليات ومغفرة الذنوب والزلات وحلول الرحمة والبركة [3]بالرغم من أن الشهيد له أجر عند الله إلا أن شهيد البحر له أجر عظيم يفوق أجر وثواب غيره . [4]

– **الغزو في البحر يماثل الغزو مع الرسول صلى الله عليه وسلم** : و ذلك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من فاته الغزو معي فليغزو في البحر**» ولقوله أيضا: « **من لم يدرك الغزو معي فليغزو في البحر فإن قتال يوم في البحر خير من قتال يومين في**

[1]-محمد بن سعيدان ، المرجع نفسه،ص:3

[2]-سورة النساء، الآية :95،96

[3]-إبن إمامة الحافظ إبن الكثير،تفسير القرآن العظيم،ج:1،لبنان:دار الكتب العلمية،دط،2000م،ص:527

[4]-مسلم اليوسف ، المرجع السابق ، ص : 7.

البر وإن أجر الشهيد في البحر كأجر شهيدين في البر وإن خيار الشهداء عند الله أصحاف الأكف» .[1]

لقد إندفع الجزائريون إلى الجهاد البحري مستغلين بذلك الوازع الديني لقول الله تعالى: ﴿**أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾ [2]فظهر أنهم يكونون في الجهاد « **مقام الغزو والإستيلاء وبذلك يتأنى منهم الغلب** » وتبين بذلك فضل المجاهدين وتمت بذلك عليهم النعمة العظمى والمواهب الجزلة. [3]

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: « **لأن أغزو في البحر غزوة أحب إلى من أنفق قنطارا متقبلا في سبيل الله عز وجل»**[4]إن كل هذه الأسباب دفعت العديد من الأتراك والجزائريين والأندلسين المسلمين للإنضمام إلى الجهاد في البحر متبعين في ذلك وازعهم الديني القوي. [5]

***البحرية الجزائرية مؤسسة رسمية:** إن الجهاد البحري كان لدى المسلمين بمثابة حرف[6]، فقد إعتبروه صنعة، إذ إعتبروا المجاهدون موظفين وليسوا سراقا أو قطاع الطرق

---

(1)- مسلم اليوسف، المرجع نفسه ، ص ص: 9 ، 10

(2)-سورة المائدة الآية: 54.

(3)- الجزلة: أي جزيلة وعظيمة،أبي بكر محمد أبي محمد أبي عبد الله القرطبي الجامع لأحكام القرآن،بيرت:مؤسسة الرسالة،ط:1، 2007م ،ص:550.

(4)-مسلم اليوسف ، المرجع السابق ، ص : 7.

(5)-المرجع نفسه،ص:17.

(6)- المرجع نفسه،ص:17.

فعملهم كان معترف به في الإيالة الجزائرية مثلما كان يعترف بالصنائع الأخرى كالدباغة، والحياكة، الصياغة، والخبازة أي أنها حرف شأنها شأن الحرف الأخرى. (1)

كان الجهاد البحري مهنة محفوفة بالمخاطر من كل جانب إلا أنها تكسب صاحبها الشرف والشجاعة وتغنيه(2)، ويرى البعض أنها حرب ذات طابع إقتصادي إذ هي شكل من أشكال الحرب التجارية تعتمد على تفوق العتاد الحربي وأن هذا النوع من الحروب كان جد مألوفا ومعمولا به عالميا آنذاك. (3).

3) **المبحث الثالث** : التفسير التاريخي لمسألة الجهاد البحري .

يكتسي الجهاد البحري أهمية خاصة للفترة موضوع الدراسة، وذلك لأنها فترة شهدت حملات وحروبا شنها الغرب الأوربي النصراني على البلاد الإسلامية عرفت في التاريخ العام باسم «**الحروب الصليبية**» وقد استمرت هذه الحملات على مدى قرنين من الزمان، ومكنت أوربا من توطيد سيطرتها في العديد من المناطق الإسلامية المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط، وخاصة سواحل المغرب الكبير.و كان لهذه الأحداث أصداء في كل أنحاء العالم الإسلامي، أفرزت ردود فعل عبر عنها بأشكال مختلفة ومتفاوتة الأهمية. وقد سجلت المصادر وجود مشاركة مغربية مكثفة في الجهاد ضد الصليبيين بصفة عامة، والجهاد البحري في الجزء الغربي للبحر الأبيض المتوسط بصفة خاصة فما

(1)- محمد بن جبور،المرجع السابق،ص:121.

(2)-عثمان الكعاك، موجز في تاريخ الجزائر من العصر الحجري إلى الإحتلال الفرنسي،تق،تع: مجموعة،بيروت:دار الغرب الإسلامي،ط:1، 2003،ص:271

(3)- رحمونة بليل، دور العمل الجهادي في إقتصاد الإيالة الجزائرية خلال القرن الثامن عشر، معسكر: مجلة العصور،العدد:20، ص:19

طبيعة هذه المشاركة؟ وإلى أي حد يمكن اعتبار هذا الوجود العمل جهادا وهذه المشاركة تجسيدا لإرادة سياسية؟

تداولت قضية النشاط البحري للجزائر العثمانية بين مختلف المصادر والمراجع العربية والغربية على حد سواء، ووقعت بين مفهومين القرصنة والجهاد البحري إلا أن المدرسة التاريخية كانت لها نظرتها الخاصة. [1]

* **النصارى وقضية القرصنة:** لقد كان النصارى هم البادئون بالحروب البحرية فكانوا يسبون المسلمين ويبيعونهم في أسواقهم ويفدونهم بأثمان باهضة، أو يعمرون بهم سفنهم الشراعية ويستعينون بهم في البحار لإكتشاف الأراضي البعيدة[2]، لذلك من الخطأ إعتقاد أن القرصنة ظاهرة جديدة برزت في القرن الخامس عشر ميلادي بل هي ظاهرة قديمة قدم التاريخ مارستها كل شعوب البحر الأبيض المتوسط بدءا بنورمان صقيلة والجنوين والإسبان والبرتغاليين والمالطيين والفرنسيين وهذا ما يؤكده بروديل قائلا: « **إن القرصنة لم تكن في غرب البحر المتوسط بالشيء الجديد منذ القرون العديدة كان المسلمون والمسيحيون يقومون بأعمال قرصنة في البحر ولا يحق لنا أن نغالط فإن القراصنة المسيحيون كان عددهم كبيرا خلال القرن الخامس عشر ميلادي والسادس عشر ميلادي بهذا البحر المتوسط**». [3]

---

[1]-مسلم اليوسف،المرجع السابق،ص:17.

[2]- عبد الحميد بن أبي زيان إبن أشنهو ، المرجع السابق ، ص: 17.

[3]-عمار عمورة،المرجع السابق،ص:122.

وفي بداية القرن الثاني قبل الميلاد بدأت مرحلة أخرى وهي مرحلة إنتشار القرصنة بشكل واسع وظهر لهم أغراض وملابس تميزهم عن غيرهم نتيجة لرضا روما على هذه الأعمال، حيث سمح بإنتشارها لأنها حققت مصالح وأهداف حكومتها ولقد وجدت أنظمة تقيد عمل القرصنة في العصور الرومانية[1]، لذلك إن الحروب التي أطلق عليها في القرن الخامس عشر ميلادي إسم القرصنة ما هي إلا إبتكار من طرف الأروبين وبلغت أشدها في عهد . [2]

إن الممارسين للقرصنة ينتمون إلى ديانات وأصول مختلفة ينتشرون في مالطا وبالما ولقد أثار فرسان مالطا الرعب في سواحل شمال إفريقيا الشرقية لمدة طويلة ، أما القرصنة بالنسبة للمسلمين فهي جهاد بحري تبناه سكان غبي البحر الأبيض المتوسط نتيجة تعرض سواحلهم إلى إعتداءات مزدوجة البرتغالية وإسبانية. [3]

ولقد توسع الأروبيين في ممارسة أعمال القرصنة بكل وحشية وشراسة، بدافع الحقد الديني وروح الإنتقام والرغبة في تحصيل الغنائم والدليل على ذلك هو مباركة الحكومات الأوربية لأعمال قراصنتها وتقديم الحماية والعون المادي لها، ولقد إشتدت هجمات

---

[1]-كرزسيتوف ويلزينسكي ، تاريخ القرصنة ، http : llpitate sinf .com/detail phparliele-id ، يوم : 2014/04/10 ، الساعة : 15.30،ص: 66.

[2]-عبد الحميد بن أبي زيان إبن أشنهو ، المرجع السابق ، ص : 17 .

[3]- رحمونة بليل ، المرجع السابق ، ص: 12 .

القراصنة الأوربيين بسبب النجاح في عملية إسترداد الإسبان في إسقاط الأندلس سنة 897هـ/1492م على يد الملكين الكاثولكين إيزابيلا وفرناندو. [1]

إن الحروب البحرية التي أخذت بالظهور – القرصنة – هي في الحقيقة من إختراع الفرنج لا العرب وحتى هذه الكلمة هي دخيلة على العربية ولا يوجد في اللغة العربية المرادف لها وربما إستعربت في القرن التاسع هجري ، وبدأت القرصنة في القرن الرابع عشر بصفة عنيفة بين المسلمين والنصارى ودامت أربع قرون، ولقد مارس الأوربيون أعمال القرصنة وحرفة تجارة الرقيق في الشواطئ الإفريقية إحياء لما كانوا يقومون به أجدادهم الرومان في العصور القديمة. [2]

*__رد فعل الجزائريين على أعمال القرصنة الأوربية__ : لقد ظهر الجهاد البحري في الجزائر مع الوجود العثماني وليس هجرة مسلمي الأندلس وتأسست مراكزها في مدن الجزائر ،دلس ، وهران وإنتقلت لمدن أخرى[3]وإعتبر نشاط القرصنة من أهم العوامل المؤثرة في العلاقات السياسية والتجارية بين الضفتين الجنوبية والشمالية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ميلاديين فشكلت أهم النقاط الحساسة التي أثرت على الأمن الإستراتيجي للبحر المتوسط في الحوض الغربي خاصة. [4]

---

[1]-يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص: 55 .

[2]- عبد الله ركيبي ، الجزائر في عيون الرحالة الإنجليز ، ج 1 ، الجزائر: دار الحكمة ، د ط ، 2010 م ، ص: 202 .

[3]- المرجع نفسه،ص:202.

[4]- إسحاق زيتوني ، المرجع السابق ، ص : 36 .

إشتدت هجمات القراصنة الأوربيين ضد الجزائر وإضطرت الجزائر لإنشاء أسطولا بحريا مماثلا لتدافع به عن سيادتها وترد العدوان وتقاوم سياسة التنصير وتنقذ المسلمين من أسر والسلب والنهب ، والتخريب ، والقتل ، والتشريد. [1]

إن المصادر الإسلامية لم تعتبر النشاط البحري ليس عملا مشينا فإستعملوا كلمة غزاة البحر وهو إصطلاحا لا يعني دائما الجانب السلبي من النشاط البحري ،أما الأوربيون فإعتبروا هذا نشاط الذي تمارسه دولة ضد دولة أخرى في شكل حرب مطاردة غير معلنة تكون بديلا للمعارك المباشرة تتعرض من خلالها لتجارة أعدائها أو تهاجم السواحل لأهداف إستطلاعية من أجل الحصول على الغنائم[2]، وكانت خطة الجزائر في البداية هي الدفاع ضد هذه الإعتداءات والتحرشات ضد إرادة التنصير ، ثم لما أخذت هذه الإعتداءات والتحرشات صبغة الحملات الصليبية وتحولت إلى أحلاف تشاركت فيها بلدان كثيرة إنتقلت الجزائر من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم. [3]

إن عمل البحرية الجزائرية مقاومة ضد العدوان والجهاد ضد إرادة التنصير لهذا فإن الجهاد البحري في بلاد المغرب عموما والجزائر على وجه الخصوص كان له دور كبير في الحفاظ على الأمن والإستقرار كما ساعد على وقف المد الأوربي خاصة بعد طرد المسلمين من الأندلس 1028هـ/1609م حيث أصبح الأمر مشروعا وهذا ما جعل الخلافة العثمانية

---

[1]- يحي بوعزيز ،المرجع السابق، ص : 56 .

[2]- على بن عبد الله ملحم ، القرصنة البحرية على السفن ، إشراف : حمادة حسنين محمد ، مذكرة لنيل شهادة ماجستير ، 1427هـ –2008 م ، ص : 156.

[3]-يحي بوعزيز ، المرجع نفسه، ص: 56 .

ترفع لواء الجهاد الإسلامي بإيالة المغرب ضد العالم النصارى وإعتبر خير الدين بربروس أن النشاط البحري حربا مقدسة ضد النصرانية لتحرير العديد من القواعد الإسلامية .[1]

لقد ظهر الجهاد البحري للدفاع على المدن الجزائرية التي كانت تتعرض للهجمات الإسبانية المستمرة حيث إحتلت هذه الأخيرة أجزاء منها ولم تكن بقصد الإغارة على السفن وهي رد فعل قبل أن تكون أي شيء آخر[2]، فنجد أن الجزائر مارست الغزو كرد فعل على الحراك البحري الذي مارسته الأمم والمماليك الأوربية التي سخرته خصوصا لمد نفوذ الإحتلال مستغلة في ذلك أوامرها وهو التطور التقني الذي عرفته هياكل البحرية لديهم وعرف بعدة تسميات القرصنة، الغزو البحري، الجهاد المقدس، لكلا الطرفين الإسلامي والأوربي.[3]

إن القرصنة البحرية هي في الحقيقة جهاد شرعي ورد فعل مشروع على التهديدات الأوربية المتكررة على السواحل الجزائرية التي تشكل في أغلب الأحيان حملات صليبية بمباركة الباباوات، ولقد كان المسلمون نادرا ما يقتلون ولكنهم يغنمون[4]، لذلك عندما إستقر العثمانيون في مدينة الجزائر تحول نشاط الجهاد البحري إلى مؤسسة فنظمت طرق التوظيف

---

(1)-علي بن عبد الله ملحم ، المرجع السابق ، ص : 156

(2)-عبد الله ركيبي ، المرجع السابق ، ص:18.

(3)-محمد أمين عطيلي ،نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر وأثره على العلاقات الجزائرية الفرنسية،إشراف: عمار بن خروف،جامعة غرداية:2011م-2012م ، ص: 36 .

(4)-عمار عمورة ، مرجع سابق ، ص 123 .

والتمويل والعمليات البحرية[1]، ويرى بعض المؤرخون أن النشاط البحري الجزائري أنه جاء للإنتقام من الإهانات وتخليص البحر الأبيض المتوسط من القرصنة. [2]

وأشار بيار غرانشان (Pierre Grand Chane) « **أن الجهاد البحري هو شكل من أشكال الحرب الممارسة من طرف البلدان المغربية ضد الدول النصارى وهذا يعطيها طابعا دينيا**»[3] ، وهناك من إعتبر النشاط البحري مكن الجزائر من لحصول على مكانة دولية حيث يقول ويليام سبنسر « **جعلت القرصنة من الجزائر قوة قاهرة في المنطقة الغربية للبحر الأبيض المتوسط خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ميلادي فلم تكن مدينة الجزائر مرعبة للأمم والشعوب المسيحية أكثر من رئيسها الأسمى الباب العالي فقط ولكنها إستمرت توحي بجو من الإجبار والرهبة خلال فترة طويلة لتدهور القوة العثمانية**»[4] ويقول إبن خلدون:« **... المسلمون خلال ذلك تغلبوا على كثير من لجة هذا البحر وسارت أساطيلهم فيه جانية وذاهبة والعساكر الإسلامية تجيز البحر وسارت من صقلية إلى البر الكبير المقابل لها من العدو والشمالية بملوك الإفرنج وتتخذ في مماليكهم ...**»[5]

---

[1]- حرفوش مدني ، التواجد العثماني في الجزائر ،.http :qawin. net،يوم : 2014/04/10 ، الساعة : 20:15.ص:12

[2]- Albert Devoulux, la marine de la Régence, d'Alger bibliothèque nationale de France ,1869,p :383

[3]-محمد بن سعيدان ، المرجع سابق ، ص 46 .

[4]-سبنسر ويليام ، الجزائر في عهد رياس البحر ، تع ، تح : زبايدية عبد القادر ، الجزائر: الميزان للنشر والتوزيع ، د ط د س ، ص: 7 .

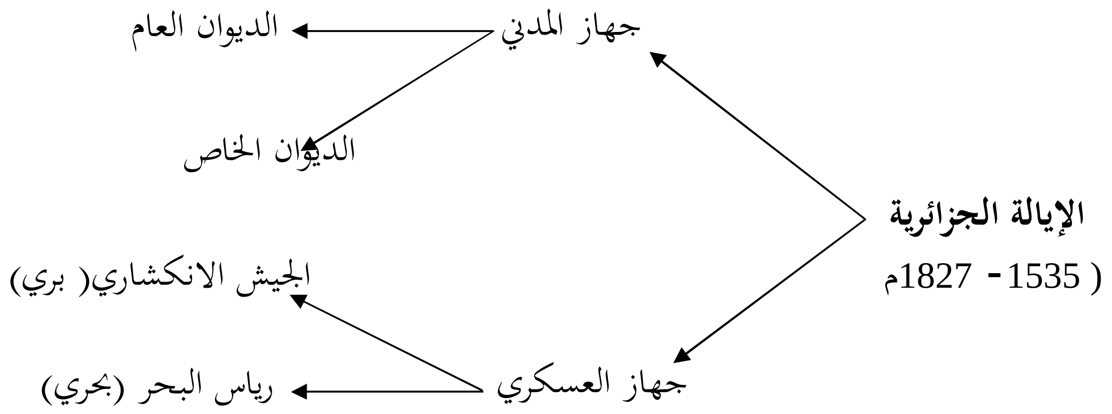
[5]-عبد الرحمان إبن خلدون، مقدمة،بيروت:دار الكتاب اللبناني،ط:2، 1961م،ص:450.

يعتبر الجهاد في سبيل الله هو ذروة الإسلام، وأعظم شعائره، وهو التجارة الرائجة، والدرجة الفائقة، رتب الله عز وجل للقائمين به من الثواب والثناء في الدنيا والآخرة، ما لا يساويه أو يدانيه عمل مثله، ودرجة المجاهد في سبيل الله كدرجة الصائم الذي لايفطر، والقائم الذي لا يفتر، وهي درجة غير متصورة، لاستحالة بقاء الإنسان عمره كله صائما قائما، وذلك من عظم المثوبة وإلى غير ذلك من الأدلة الدالة على الأمر بالجهاد وبيان فضله من الكتاب والسنة .

4) المبحث الرابع: الأدلة التاريخية والمادية على شرعية عمل الأسطول الجزائري.

لقد إختلف المؤرخين بين مؤيد ومعارض لشرعية عمل الأسطول البحري الجزائري إلا أن الأدلة التاريخية والماية أعطت الشرعية لنشاط البحري الجزائري وجاء فيها:

* **الأدلة التاريخية:** إن الأدلة التاريخية تعطي الشرعية للعمل الجهاد البحري وذلك بإعتبار أن البحرية الجزائرية كانت تعتبر مؤسسة هامة من مؤسسات الإيالة العثمانية وكانت تتبع القوانين البحية والمبادئ الإسلامية وهذا ما سيثبته التخطيط التالي:



الباي لاربايات ← رياس البحر (1540-1587م)
الباشاوات ← رياس البحر (1587-1659م)
الآغاوات ← الجيش الإنكشاري (1659_1671م)
الدايات ← رياس البحر (1671_1830م)

يبين لنا هذا التخطيط المؤسسات الموجودة بإيالة العثمانية المدنية والعسكرية و نلاحظ أن الجهاز العسكري يتكون من جيشين البري والبحري ويحتل الأسطول البحري صدارة في ثلاثة مراحل التي مرت بها الجزائر خلال فترات الحكم وهذا يبين أن رياس البحر كانو يمثلون الجزء الهام في قوة الايالة الجزائرية وبما أنهم كانوا ضمن المؤسسات المعترف بها في البلاد فنستنتج أن لها الشرعية في الجهاد البحري.

* **الأدلة المادية**:إن الأدلة الملموسة كانت دالة على أن النشاط البحري كان مؤسسة قائمة بذاته حيث لم تكن القوات البحرية والأسطول أقل شأن من القوات البرية[1]، ولقد تكونت النوات الأولى للبحرية الجزائرية العثمانية نتيجة الإهتمام الكبير الذي لقته فقد عملوا على تنميتها وتطويرها من الناحية المادية والبشرية، ولقد شكل الأسطول محورا أساسيا لقوتها

[1]-محمد أمين عطلي،المرجع السابق ،ص:47.

العسكرية مكنها من الوقوف في وجه كل الهجمات والحملات المتكررة التي شنتها الدول الأوربية. [1]

* **أنواع وحدات الأسطول البحري**:لقد تكون الأسطول البحري الجزائري من العديد أنواع المراكب ومنها:

- **الفرقاطة (Fregata)**: الفرقاطة[2]جمع فراقط وفراقيط وفرقاطات[3]وهي نوع من سفن ذات هيكل مسطح وأملس تحتوي على إثنين إلى ثلاثة رواصي لكي تقوم بحد أقصى من الإبحار.

- **الدانكيز (Dantzik)** : هي سفن تحتوي على ثمانية و خمسين مدفعا كانت تحصلت الجزائر على هذا النوع من السفن إما عن طريق الجهاد أو على شكل الهدايا كانت تقدم لها من طرف الدول الأروبية. [4]

- **القصر**: هي سفنية حربية تكونت من خمسين مدفعا كانت تصنع في الإيالة الجزائرية.

ـ **الشبيكات** : كانت تحتوي هذه السفن على ستة عشر إلى ثلاثين مدفعا، إستعمل هذا النوع من السفن لسنوات عديدة في الإيالة الجزائرية.[5]

---

(1)-محمد أمين عطلي ،المرجع نفسه،ص:47.

(2)-للإطلاع على نموذج لهذه السفن ينظر:الملحق رقم(1)،ص:94.

(3)-الطويل سعيد محمد،البحرية الطرابلسية في عهد العثماني في عهد يوسف باشا القرمانلي1795م-1832م،لبنلن:دار الكتب الجديدة المتحد،ط:1، 2002م،ص:135

(4)-جو ن ب ولف، الجزائر و أروبا 1500م-1830م، تر،تع: أبو قاسم سعد الله، الجزائر: دار الرائد، دط، 2009م،ص ص: 183،184.

(5)-محمد سعيد طويل، المرجع السابق،ص:134

- **قادرغة**: هي سفن سفينة شراعية[1] حربية تحتوي على خمسة وعشرين مقعدا، كل المجداف يقوم بدفعه من أربعة إلى خمسة مجدفين، تمتاز بطولها وخفتها، أما طاقمها فكان يضم خمسة وثلاثين بحارا ومئة وستة وتسعين مجدفا[2].

- **الغليوطات** (Galoite): وهي مراكب شراعية[3] إسبانية قديمة[4] وتنطق في اللغة إنجليزية(Galleon) الفرنسية (Galiote)، وكانت هذه السفن الحربية ذات أشرعة هوائية ويقوم بدفعها المجدفون من أسرى الحروب. [5]

. **الغزال**: يحتوى هذا النوع من السفن على خمسين مدفعا. [6]

- **القربيطة (Corvette)**: القرويت القربيطة والجمع قراويت أي سفينة حربية قديمة تعني الغراب أو الحراقة وظهر لفظ القرويت في أوائل القرن السابع عشر ميلادي تراوح طوالها ما بين إثنين وعشرين وخمسة وعشرين، وعرضها ثمانية أمتار ويضم ثلاثة رواصي بالإضافة إلى صارية مائلة[7].

---

(1)-للإطلاع على نموذج لهذه السفينة،ينظر الملحق رقم(2)،(3)،(4)،(5)،(6)،ص ص:95-99

(2)-مجهول،مذكرات خير الدين بربروس،تر:محمد دراج،الجزائر:شركة الأصالة للنشر،ط:1، 2010م ،ص:50.

(3)-للإطلاع على نموذج لهذه السفينة ، ينضر الملحق رقم: (1) ص: 94

(4)-محمد سعيد طويل، المرجع السابق،ص:134

(5)-المرجع نفسه،ص:134.

(6)-المرجع نفسه،ص:135.

(7)- جو ن ب ولف، المرجع السابق،ص:183.

5ـ أمبارجي: يقوم بحراسة مستودع السفينة. [1]

يضم طاقم السفينة عدد من العمال الثلث منهم يتكون من سكان البلاد و الباقي هم من الأسرى النصارى ونذكر من أهمهم[2]:

– الملاحون و المرشدون: الملاحون هم من النصارى، أما المرشدون فيكونون من الأتراك أو من سكان البلاد . [3]

– البريتاجي: هو الذي ينزل الشراع المربع. [4]

– القاردا كايو: يقوم بإنزال الشراع الأعلى. [5]

– الديماجي: يدير دفة السفينة. [6]

أما العمال الذين يعملون على الهيكل الخارجي للسفينة فهم:

– الجلفاط: يسد حزوز السفينة بالزفت أو يدهن هيكلها الخارجي بمادة عازلة[7]

– المستورداس: و هو النجار[8]

(1)-Albert Devlouloux, ibid,p:387

(2)- ibid,p:387.

(3) -ibid,p:387.

(4) - ibid,p:387.

(5)- ibid,p:387.

(6)-جمال قنان،المرجع السابق،ص:205.

(7) - Moulay Bellhamissi,op,cit,p:505

(8) - ibid,p:505.

_ **الإبريق (Brig):** في اللغة هو الإناء[1]وجمعها أبارقة أستعمل هذا الفظ في القرن التاسع ميلادي للدلالة على نوع من مراكب الحربية الخفيفة العاملة في البحر المتوسط.[2]

_ **برغانتية**: هي سفن كبيرة إستعملت بكثرة من قبل الأسطول الجزائري في عملية الجهاد البحري خلال القرن السادس عشر ميلادي.[3]

- **البولاكر[4]:**إستعمل هذا النوع من السفن في التجارة و كانت تزود بالمدافع برزتبدرجة كبيرة خلال القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر ميلادي.

إن سفن الشبيكات و الفرقاطة و الكرافيل كانت في الأصل سفن صغيرة تدفع بالمجاديف ولكن في القرنين السابعو الثامن عشر ميلاديين أصبح هيكلها نموذج للسفن الشراعية[5]ذات الحجم الأضخم.[6]

* **مواد صنع السفن**: تحصلت الإيالة الجزائرية على مادة الخشب الذي إستخدمته في بناء السفن من بجاية أو من السفن النصارى التي يغنموها و يفككوها حتى ولو كانت جديدة لإعتقادهم أنهم في حالة إستخدامها في الغزو كما هي ستلحق بهم المصيبة، أما

---

[1]-للإطلاع عى نموذج لهذه السفن ينظر:الملحق رقم(7) ص:100

[2]-محمد سعيد طويل، المرجع السابق،ص:132

[3]-جو ن ب ولف،المرجع السابق،ص:183.

[4]-للإطلاع على نموذج لهذه السفينة، ينظر الملحق رقم:(8)،ص:101.

[5]- للإطلاع على نماذج للسفن،ينظر:الملحق رقم(9)،(10) ،ص ص:102،103

[6]- محمد سعيد طويل، المرجع السابق،ص: 183

بخصوص معدات السفن[1] من الحبال والأشرعة و الأحزمة فكانوا يحصلون عليها بفضل التسهيلات الهولندية ،كما كان يجلبها اليهود من طنجة. [2]

*** تسليح السفن**: إن معظم السفن عند الإنطلاق كانت تحمل ما بين ستة عشر مدفعا[3] إلى ثلاثين مدفعا، وكان رياس البحر مسلحين بالسيوف الحدباء و الخناجر و الرماح والأسلحة النارية والسهام و الأقواس،و كانت الأسلحة تحفظ في غرفة خاصة.[4]

* **طاقم السفن**: لقد ضم الأسطول البحري الجزائري طاقم مهم من الشخصيات البارزة والأخرى مكملة من أهمها إختلفت رتبهم ومهامهم منهم: الرايس الذي هو الضابط وقائد السفينة[5]، يتحصل على خمسة عشر قسطا من قيمة الغنائم[6]، ثم الخوجة [7]وهو الموكل بحفظ دفتر السفينة وتسجيل الغنائم. [8]

3- وكيل الحرج: هو الذي يوزع الأجور على العمال و يتم تعينه من قبل الرايس. [9]

4_ خزناجي: هو الذي يحمل الفحم إلى مخزن السفينة.

---

[1] للإطلاع على صورة لمعدات السفن،ينظر الملحق (11)،(12)،ص ص:104،105

[2] -جمال قنان، المرجع السابق،ص:137.

[3] -للإطلاع على صور المدافع،ينظر:الملحق رقم(13)،(14)،(15)،ص ص:106-107

[4] -جون ب ولف،المرجع السابق،ص:185.

[5] –Moulay Bellhamissi, La Marine et Marin D'Alger,Bibliothèque nationale,p:383

[6] -جمال قنان، المرجع السابق،ص:137.

[7] -يعين كل من الرايس و الخوجة من قبل الديوان وهما من المراتب العليا في السفينة، ينظر:المرجع نفسه:137

[8] - جون ب ولف،المرجع السابق،ص:185

[9] -Albert Devlouloux,op cit,p:383.

– الياركانجي: رئيس صناع الأشرعة[1]

– أماكن إرساء السفن:

تمركـز العثمـانيون بمدينـة جيجـل في بدايـة و إتخـذوا مينائهـا مرسـى لسـفنهم الحربيـة ،وبعـد إسـتقرارهم بـالجزائر تمركـزوا بمدينـة الجزائـر وتحصـنوا بمينائهـا بعـد تطـويره وأسـتعمل كقاعـدة لبنـاء المراكـب الجديـدة، كمـا إتخـذوا العديـد مـن مـوانئ المـدن السـاحلية لإرسـاء السـفن مثـل شرشال[2]ودلس[3]وغيرها[4].

*__طريـق الغـزو الـذي يسـلكه الأسـطول الجزائـري__: إتبـع الجزائريـون في غـزوهم علـى طـريقين فأمـا الطريـق الأول فكانـت تسـلكه السـفن الجزائريـة عنـد خروجهـا نحـو الشـرق حيـث يمـرون بأعـالي جـزر الأرخبيـل وينزولـون في بحـار صـقلية وفي خلـيج البندقيـة بعـدها تكـون العـودة إلى البحـر الأبـيض المتوسـط ليبحـرون نحـو جنـوه وبروفـانس وجـزر كورسـيكا وسـردينيا ،ماجوركـا ومنها تعود أدراجها إلى الجزائر. [5]

في حـين الطريـق الثـاني هـو الـذي يتبعـه الأسـطول عنـد خروجـه مـن الجزائـر هـو القيـام بالإسـتطلاع في أعـالي برشـلون فلانـس و الكانـت و مالاقـا ومنهـا تجتـاز المضـيق للتوجـه إلى أعـالي قـادس وطنجـة وهنـا يتفـرع الأسـطول الى قسـمين القسـم الأول يقـوم بالإبحـار علـى طـول

[1] - Moulay Bellhamissi, ibid,p:506.

[2]-تقع مدينة شرشال على الساحل الغربي لمدينة الجزائر،ينظر: محمد أمين عطلي ،المرجع السابق،ص:47.

[3]-تقع دلس إلى جانب الساحلي الشرقي من مدينة الجزائر تابعة حاليا لولاية بومرداس و لا زالت تحافظ على هذه الاسم إلى يومنا هذا،ينظر: المرجع نفسه،ص:47.

[4]-المرجع نفسه،ص:47.

[5]-جمال قنان،المرجع السابق،ص:100.

السواحل البرتغالية والإسبانية من رأس سان فاسان إلى رأس فينستير والقسم الثاني يبقى مبحرا في مياه العالية لمطاردة قراصنة مالطا. [1]

* **تعريف رياس البحر**: أي مجاهدي البحر وكانت تشتمل بدرجة أولى الرياس[2] مالكي السفن وكذلك البحارة وعمال الصيانة كالنجارين الجلافطة قد إستعملت هذه الكلمة خلال الفترة العثمانية للدلالة على البحرية الجزائرية وعبرت عن كل ما له صلة بالبحر[3]، لم تكن هذه الفئة خاضع خضوعا تاما للنظام الإداري بل كان لها حكمها الخاص فهي بمثابة نقابة لربانية البحر، كما تمتعت هذه الطائفة بمحبة كبيرة لدى الشعب لأنها كانت تحمي البلاد من غزوات عدو في البحر وتميزت بالغنى بسبب الغنائم التي تأخذها من العدو ،وكانت فلسفة هذه الطائفة في كسب مودة الشعب مفيد حيث نجد رجال الديوان[4] بما فيهم طائفة الباشا مرغمين على تلبية رغباتها وكانت كلمتها مسموعة و أمرها مطاعا في صفوف الجيش[5].

كانت التركيبة البشرية للبحرية الجزائرية غنية ومختلفة المشارب يوحدها الجهاد في سبيل الله وقد تكونت من خليط ممتاز من العناصر المحلية إضافة إلى أعلاج أوروبا الذين

(1)-جمال قنان، المرجع نفسه،ص:1001.

(2)-طائفة : في اللغة العربية يجمعهم مذهب ديني أو رأي واحد،ينظر:عبد القادر حامد،محمد علي النجار،المرجع السابق،ص:301، لذلك نستنتج أن رياس البحر ليسوا بطائفة لأنهم مؤسسة من المؤسسات العسكرية التي تواجدت في الإيالة الجزائرية.

(3)- عائشة غطاس،الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها،منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م،دط،دس ،ص:96.

(4)- محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في البلاد الجزائر المحمية، تق،تح :محمد بن عبد الكريم، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،ط:2، 1981م،ص:42

(5) - المرجع نفسه،ص:42.

أسلموا وإنضموا إلى البحرية الجزائرية يضاف إليها عناصر البحارة من المشرق الإسلامي و آخرون قدموا من الأندلس وهذا أكسب الجزائر نفسا جديدا وقوة متجددة وتقنيات إضافية في مجال المعدات الخاصة. [1]

[1] - عائشة غطاس، المرجع السابق، ص:96.

الفصل الثالث

المسار التاريخي للبحرية الجزائري

894هـ-1512م/1209هـ-1827م

المبحث الأول: مرحلة التأسيس والبناء **(894هـ-1512م/417هـ-1535م)**

المبحث الثاني: مرحلة القوة **(917هـ-1535م/1198هـ-1816)**

المبحث الثالث: مرحلة الضعف(1198هـ-1817م/1209هـ-1827م)

المبحث الرابع: انهيار القوة الجزائرية البحرية (1209هـ-1827م/1212هـ-1830م)

منذ أن ظهرت الإيالة الجزائرية الحديثة في مطلع القرن السادس عشر ميلادي وجدت نفسها بحكم موقعها و مهامها محكوم عليها أن تكون دولة بحرية فهي تتربع على ساحل يزيد طوله عن ألف ومئتين كلم وقريب من موقع الخطر المتمثل في أوروبا النصرانية وهو الخطر الذي أصبح مجسدا بإحتلال إسبانيا لعدد من المدن الساحلية الهامة، لذلك فإن بناء قوة بحرية لتصفية هذه المواقع ومن أجل نقل الحرب ضد العدو إلى البحر ظهر كضرورة ملحة لا يمكن تأجيلها.

لقد تطورت أهداف البحرية الجزائرية عبر ثلاث قرون ويمكن القول أن البحرية مرت بثلاث مراحل أساسية: مرحلة التأسيس ثم مرحلة القوة، فمرحلة الضعف ثم الانهيار بعد موقعة نافرين (1209هـ/1827م).

1)- المبحث الأول: مرحلة التأسيس و البناء (948هـ-1512م/971هـ-1535م)

لقد كان لإنضواء الجزائر تحت الخلافة العثمانية دورا مهما في بناء الأسطول البحري و لم تكن القوات البحرية و الأسطول أقل شأنا من القوات البرية حيث أن إمتلاك العثمانيين للأسطول بحري قوي (1) كان من بين الأسباب التي مكنتهم من الإستقرار في الجزائر' وبهذا تكونت النوات الأولى للبحرية الجزائرية العثمانية نتيجة الإهتمام الكبير الذي لقته فقد عملوا على تنميتها وتطويرها من الناحية المادية و البشرية، و لقد شكل الأسطول محورا لقوتها العسكرية مكنها من الوقوف في وجه كل الهجمات

(1)- محمد بن سعيدان، المرجع السابق، ص:131.

و الحملات المتكررة التي شنتها الدول الأوربية (1) .

*** بداية النشاط البحري الجزائري العثماني:** باشرت الجزائر نشاطاها البحري منذ إنضوائها تحت لواء الخلافة العثمانية، فعندما عين خير الدين حاكما على الجزائر سنة902 هـ/ 1519م وجه كارلوس الخامس أسطولا بقيادة دون هيغو دومنكاد لطرد خير الدين ظنا منه أنه قد ضعف بعد موت أخيه، خرج الأسطول من نابولي إلى الصقلية بثلاثون سفينة وثمانية مراكب وبعض القوارب وكان يحمل خمسة آلاف جندي ، بدأ الأسطول هجومه بالقصف على مدينة الجزائر فور وصوله، فخرج خير الدين لمواجهة الأسطول الإسباني لحقت خسائر كبيرة بالأسطول الإسباني مما إنعكس سلبا على نفسية دون هيغو فقد قتل العديد منهم و أسر الآخرين أما البقية فقد هربوا في مراكبهم(2).

أما في سنة904هـ/ 1522م سيطر خير الدين على مدينة عريقة وقوية بون (عنابة حاليا) بفضل أسطوله المكون من إثنان وعشرين قارب شراعي مجهز بأسلحة حربية. إستطاع خير الدين في فترة (894هـ- 1512م /117هـ- 1535م) إخضاع العديد من المناطق و تحصل على العديد من المراكب الحربية، إن المرحلة الأولى للبحرية كانت بمثابة مرحلة بناء الأسطول الجزائري (3).

(1)- محمد بن سعيدان، المرجع نفسه، ص:131.

(2) -Diego Fray de haèdio. Abbe de Fromesta,Histoire des Rois D'Alger,trauite et annotee: H D de Grammant, Adolphe Jourdan Libraire,1881,p:35.

(3)-Ibid,p:35.

2)- المبحث الثاني مرحلة القوة (917هـ-1535م/1198هـ-1816)

كانت البحرية الجزائرية غداة تأسيس الإيالة الجزائرية سنة 902هـ/ 1520م، موسومة بطابع الجهاد البحري فعمل الباي لاربايات على محو التواجد الإسباني النصارى من الأراضي الجزائرية ففي هذه الفترة بدأ عصر الجديد للبحرية الجزائرية حيث أجمع المؤرخون على أن هذه الحقبة التاريخية تمثل العصر الذهبي للبحرية الجزائرية فقد وصل أسطول البحارة إلى الحد الأقصى لتطوره[1]، وهذه شهادة الأعداء قبل الأصدقاء فهذا هايدو يصف قوة البحرية الجزائرية في هذه الفترة بقوله " إن رجال البحرية الجزائرية كان يجوبون البحار من الفجر إلى المغرب خلال الشتاء و الربيع دون خوف و يسخرون من السفن المسيحية و كأنهم يخرجون لصيد الأرانب"[2].

معركة بريفيزا 1514هـ/1538م: تمكن البابا من التأثير على فرنسوا الأول حيث وقع هذا الأخير هدنة مع شرلكان[3]لمدة عشر سنوات و تشكيل حلف المقدس **[4]**لضرب العثمانين**[5]**.

(1)-محمد بن سعيدان، المرجع السابق، ص:18.

(2)-عائشة غطاس،المرجع السابق ،ص:96

(3)-عند اندلاع الحرب بين فرنسا و اسبانيا عام 1536م لم يتمكن فرنسوا الأول من المقاومة لذلك أمر بإخلاء المدن و لم تبقى سوى مدينتي مرسيليا و آرل محصنتين لذلك اضطر هذا الأخير إلى طلب المساعدة من الدولة العثمانية التي لبت هذا الطلب و شارك في هذه المعركة الأسطول الجزائري بقيادة خير الدين ولقد حققت الدولة العثمانية إنتصارا كبيرا على إسبانيا ،ينظر:صالح حيمر، المرجع السابق،ص63.

(4)-تشكل الحلف المقدس في فيفري 1538م و ضم إسبانيا و البابوية البندقية وفرسان مالطا،ينظر:جون ب ولف،المرجع السابق،ص:53.

(5)- صالح حيمر، المرجع نفسه،ص:63.

تشكل الأسطول من القوات المتحالفة و ضم مئتين سفينة على متنها ستين ألف جندي بقيادة أندري دوريا[1]، أما الأسطول العثماني فتكون من مئة و ثمانون سفينة على متنها ثلاثين ألف رجل بقيادة خير الدين و كان المواجهات بين الأسطولين في منطقة بريفيزا[2]، أسفرت المواجهات على تحطيم أربعة سفن للنصارى منها سفينتين إسبانيتين وقطعة تابعة للبابوية أخرى تابعة للبندقية، أمام هذا الخطر فضل أندري دوريا إنسحاب من المعركة لعدم قدرته على مواجهة خير الدين[3].

إنتهت معركة بريفيزا بإنتصار الأسطول الإسلامي على قوات تحالف النصارى و تصدع هذا الحلف بعد إنسحاب البنادق الذين سارعوا إلى مهادنة الدولة العثمانية[4].

*__دور البحرية الجزائرية في ضم طرابلس إلى الدولة العثمانية__:وقعت طرابلس في قبضة الإحتلال الإسباني 892هـ/1510م و بعد عشرين سنة912هـ/1530م منحها كارلوس لفرسان يوحنا[5].

أرسل سلطان سليمان القانوني[6]أسطوله البحري متكون من مئة وإثنين وتسعين سفينة بقيادة[7].

([1])-صالح حيمر، المرجع نفسه، ص:63.

([2])- تقع بريفيزا على الساحل الشرقي للبحر الايوني إلى شمال من الخليج آرتا و هي حاليا تابعا لليونان،ينظر:المرجع نفسه ،ص:62.

([3])- المرجع ، نفسه ص:63.

([4])- المرجع نفسه،ص:63.

[5]- المرجع نفسه،ص:63.

[6]**سليمان القانوني(1494م-1566م)**:هو إبن السلطان سليم الأول ،تولى الحكم بعد وفاة أبيه 1520م تميزت السياسة العثمانية في عهده باتجاه نحو الغرب حيث أشتهر بعلاقاته مع فرنسوا الأول، ينظر: إسحاق زيتوني،المرجع السابق،ص:45.

[7]-صالح حيمر،المرجع نفسه،ص:64.

سنان باشا[1] بمساعدة درغوث رايس[2] وصالح رايس[3] باي لارباي الجزائر في جوان 1551/933م إلى مالطا[4] وبعد عشر أيام من الحصار سمح لفرسان بالجلاء على متن سفينة فرنسية مقابل إستسلامهم حالا وهكذا تم فتح طرابلس و ضمها للخلافة العثمانية فكان مكسبا هاما نحو تحقيق وحدة إسلامية في مواجهة قوى النصارى[5].

*__البحرية الجزائرية ودورها في تحرير تونس__: كانت تونس نقطة صراع ساخنة بين طرفين الإسلامي و النصارى توجه علج علي[6] في أكتوبر 951هـ/1569م من سنة إلى تونس لتلبية لتلبية نداء أهلها الراغبين في التخلص من حاكمهم أبو العباس أحمد الموالي للإسبان الذي

---

(1)-**سنان باشا**:ولد بألبانيا سنة 1520م، جيء به إلى إستانبول ونشأ فيها،تولى ولاية أكثر من إيالة ،ينظر: إسحاق زيتوني،المرجع السابق،ص:101.

(2)-**درغوث**: يعتبر من أبرز الشخصيات العسكرية في البحرية العثمانية الذين تكونوا على يد خير الدين و هو من القادة القلائل المشهورين في البحرية الجزائرية ولد بجزيرة رودس حوالي 1485م من أب مسلم تعرض للأسر سنة 1540م ثم فداه خير الدين 1543م فكرس حياته للإنتقام من النصارى، عين حاكما على طرابلس الغرب سنة 1553م وبقي في منصبه إلى غاية إستشهاده 1565م أثناء حصار مالطا بعد إصابته بشظية في رأسه،ينظر: De Gament, op, cit, p: 100

(3)-**صالح رايس**: عين بايلرباي على الجزائر في أفريل من سنة 1552م وكان لتوليه الحكم ارتياح كبير في الأوساط الجزائرية وقد استطاع استطاع توسيع حدود الإيالة الجزائرية وهذا بعد أن ضم تلمسان لملك الجزائر وبذلك سقطت الدولة الزيانية سنة 1554م،ينظر:إسحاق زيتوني،المرجع نفسه،ص:45.

(4)-**مالطا**:تحتل موقعا إستراتجيا في وسط البحر المتوسط حيث كانت تعد قاعدة بحرية ذات تأثير مباشر على حركة الملاحة ومما زاد أهميتها أنها تقع بين حوظين الشرقي والغربي تتكون من أربعة جزر تمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي على نحو التالي جزيرة قوزو (Gozzo)،جزيرة كومينوتو (Cominotto)،وجزر مالطا وهي الأكبر أما جزيرة فيلفولا (Filfola) وهي الأصغر وتقع في جنوب جزيرة مالطا وتقدر المساحة الإجمالية لهذا الأرخبيل ب 316 كيلومترا مربع وتضم جزيرة مالطا أربع مدن هي سانت انج (Saint Ang)وسانت ميشال (Saint Michel) لافالييت (La Cite Vallette) و المدينة القديمة(La Cité Veille)،ينظر:صالح حيمر،المرجع السايق،ص:64.

(5)-إسحاق زيتوني ،المرجع السابق،ص:104.

(6)-،المرجع نفسه،ص:21.

فر إلى حلق الوادي لإحتماء[1] بالقوات الإسبانية الموجودة هناك، أما علج علي فدخل إلى تونس و إستقبله أهلها بالترحاب و أخذ منهم البيعة للسلطان العثماني[2].

مشاركة البحرية الجزائرية في حرب مالطا947هـ/ 1565م: تزايد نفوذ البحرية الجزائرية في البحر المتوسط فبعدما كانت تقوم بدور الدفاعي من خلال محاولة تطهير أرض الجزائرية من الوجود الإسباني،مع القيام بهجومات سريعة و خاطفة ضد الثغور الإسبانية من حين لآخر، تطور هذا الوضع خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر،إذ تميز بإشتداد المواجهة في قلب البحر الأبيض المتوسط بين القوى النصرانية الأوربية و القوى الإسلامية حيث صارت الجزائر المتحالفة مع البحرية العثمانية قوة فعالة و مؤثرة في مختلف الأحداث الدولية بمنقطة البحر المتوسط ومن بين المحطات الهامة التي برزت فيها البحرية الجزائرية نجد حرب مالطا سنة 947هـ/1565م[3].

قرر سلطان سليمان القانوني تصفية الوجود الإسباني في المغرب الإسلامي نهائيا لأجل ذلك كان لابد من فتح مالطا أولا لأنها قاعدة تعرقل تحركات الأسطول العثماني في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط لأن فرسان مالطا بدؤا منذ إستقرارهم يهاجمون السفن الإسلامية. [4]

---

[1]-صالح حيمر، المرجع السابق، ص:83.

[2]-المرجع نفسه،ص:84.

[3]-إسحاق زيتوني،المرجع السابق،ص:84.

[4]-المرجع نفسه ،ص:84.

بدأ السلطان سليمان إستعداده لحصار مالطاسنة 946هـ/1564م بصفة سرية حيث بعث برسائل الى كل قادة الولايات العثمانية يدعوهم فيها إلى المشاركة في هذه الحملة، كان من بينهم حسن باشا[1] إبن خير الدين حاكم الجزائر و في مارس من سنة 947هـ/1565م تلقى رسالة من السلطان يطلب منه التحرك بقواته نحو مالطا[2].

أقلع الأسطول العثماني في 20 مارس قاصدا مالطا التي وصلت إلى مشارفها في 18 ماي947هـ/ 1565م كان أسطول العثماني يضم مئة و ثمانين سفينة على متنها خمسة وأربعين ألف جندي وفور وصول الأسطول العثماني قام بضرب الحصار على حصن سانت آلم و ذلك قبل وصول حسن باشا[3].

وصل حسن باشا حاكم الجزائر بعد تلقيه دعوة من سلطان سليمان،فتوجه إلى مالطا على رأس قوة تتكون من ثمانية و عشرين سفينة جيدة التجهيز على متنها ثلاث ألاف رجل من خيرة المقاتلين الجزائريين غير أنه لم يصل إلى مالطا إلا في يوم 5 جويلية أي بعد إنتهاء المرحلة الأولى من الحصار والتي إنتهت بسقوط حصن سانت آلم[4].

و لقد أشار المؤرخون الغربيون بالدور الذي لعبته الفرقة الجزائرية بقيادة حسن باشا في هذه الحرب إذ إعتبرت أحسن فرقة في الجيش العثماني وبرز هذا الأخير كعادته بإقدامه

(1)-**حسن باشا:** هو إبن خير الدين تولى الحكم بعد وفاة آغا الطوشي سنة 1544م و شرع فور وصوله للجزائر إلى مواجهة الغرب و لقد إنتهج سياسة مضادة لكل الدول الأجنبية توفي سنة 1570م في إستانبول،ينظر: إسحاق زيتوني، المرجع نفسه ص:55.

(2)-صالح حيمر، المرجع السابق،ص:96.

(3)-المرجع نفسه،ص:96.

(4)-جون ب ولف،المرجع السابق،ص:130.

و شجاعته فقد تولى حسن باشا كل الهجومات الخطيرة[1] ومكنتهم من الصمود،و قد كان الجيش العثماني يعاني من نقص البارود ونظرا لطول المدة ا لحصار التي دامت أكثر من أربعة أشهر وقلة المؤونة وإنتشار وباء الطاعون وسط الجنود في الجيش فإضطرت قيادة العليا في الجيش العثماني على رفع الحصار،أما حسن باشا ونظرا لدوره الفعال الذي قام به عينه السلطان العثماني قائدا على البحرية العثمانية[2].

*__مساهمة البحرية الجزائرية في ثورة المورسكين 950هـ/1568م__: لقد تعرض المسلمين لعديد من الضغوطات والمعاملة السيئة من قبل الإسبان،و من أسباب التي أدت إلى تفجير الثورة المورسكية[3] أواخر950هـ/1568م:

– السياسة الإسبانية المتسلطة تجاه مسلمي غرناطة في شتى الميادين العقائدي السياسية و الإقتصادية و العقائدية[4].

– تخوف الإسبان من الزيادة الملحوظة في عدد السكان بغرناطة[5].

– أثر التطورات الإقتصادية و الإجتماعية والفكرية التي عرفتها خلال القرن السادس

---

(1)-جون ب ولف،المرجع نفسه،ص:130.

(2)-المرجع نفسه، ص:130

(3)-الموركسين: جمع فريق من الباحثين من شرحهم للمصطلح على أن أصل التاريخي والوضع الديني للأندلسين الذين فضلوا البقاء في أرض الوطن المسلوب بعد ذياعه على يد النصارى من بين هؤلاء يذكر المؤرخ جمال يحياوي أنه كلمة لاتنية إغريقية مشتقة من كلمة "موري"وتطلق على الأشخاص ذوي البشرة لسوداء واتعمل هذا المصطلح للدلالة على المسلم التنصر تميزا عن النصراني القديم أو الاصيل ،نظر:جمال يحياوي،سقوط غرناطة ومأساة الأندلسين،الجزائر:دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع،دط،2004م،ص:9.

(4)-إسحاق زيتوني،المرجع السابق،ص: 100.

(5)-المرجع نفسه ،ص:101.

عشرميلادي والتي أدت إلى نمو البرجوازية النصرانية وإزدياد كراهيتها للبرجوازية المسلمة[1].

بينما كان الموريسكيون يتهيئون للثورة أرسلوا وفدا إلى السلطان العثماني[2] في طلب المساعدة ورسل الموريسكيون أحد رجالهم يسمى بارتال إلى الجزائر لمقابلة علج علي وإعلامه بوضعية المورسكين و نوع المساعدات التي هم بحاجتها[3].

إتفق علج علي مع المسلمين بالأندلس على تفجير الثورة في الوقت الذي تصل فيه القوات الإسلامية من الجزائر إلى السواحل الاسبانية، إستغل المورسكون فرصة إحتفال الإسبان بأعياد الميلاد في ديسمبر 1568م وأعلنوا تفجير الثورة، وفي جانفي 1569م أرسل علح علي ستت سفن محملة بالبارود والمتطوعين الجزائرين وقد تمكنت من إنزال حمولتها، وفي نفس الوقت أرسل إثنين وثلاثين سفينة محملة بالرجال لكنها تعرضت لعاصفة هوجاء أدت إلى غرقها[4]، لم يتأثر علج علي بذلك وفي أكتوبر1569م من سنة أرسل أربعة آلاف بندقية بكامل ذخيرتها و تجددت المساعدات في السنوات الموالية[5].

***دور البحرية الجزائرية في معركة ليبانت 953هـ/1571م**: إن الهلع الذي أحدثته ثورة المسلمين بغرناطة و الدعم الذي لقيته من الجزائر خاصة جعل إسبانيا تخشى الأسطول العثماني المتحالف مع الأسطول الجزائري و كان من المنطقي أن يعرف الصراع الإسلامي

---

(1) -إسحاق زيتوني، المرجع نفسه، ص:102.

(2) -صالح حيمر،المرجع السابق، ص:153.

(3) -إسحاق زيتوني،المرجع نفسه، ص: 105.

(4) -De Garment, op, cit, p: 100

(5) -صالح حيمر،المرجع السابق، ص: 153.

النصراني فصولا جديدة أشد عنفا و هذا ما حدث في معركة ليبانت**953هـ/ 1571**م والتي تعد أعظم المعارك البحرية[1].

توحدت كلمة الدول الأوروبية بشأن القيام بعمل أوروبي مشترك في مواجهة الخطر العثماني وهذا ما أسفر عنه الحلف المقدس الذي تأسس في 25 ماي من سنة952هـ/ 1570م وضم ألمانيا، إيطاليا، البابوية وحتى إنجلترا، وأما القيادة العثمانية على علم بتحرك الأوروبين لذلك عمل السلطان على تعزيز قوته المشاركة إلى جانب الأسطول العثماني فوجه رسالة إلى بايلرباي الجزائر يدعوه فيها إلى تجهيز سفنه و إلتحاق بأسطول العثماني سارع علج علي إلى تلبية النداء و غادر مدينة الجزائر سنة 953هـ/1571م على رأس خمسون سفينة كم ضم الأسطول العثماني سفن رودس و سوريا وطرابلس وإسكندرية[2].

أخذ الأسطولان يتقدمان من بعضها و قد وضعت سفن البندقية العظيمة في المقدمة وهي سفن ضخمة تشارك لأول مرة في المعارك البحرية وبعد ثلاث ساعات من بداية المعركة إنهزمت ميمنة سفن الأسطول الإسلامي و بالرغم من ذلك إستطاع علج علي باشا أن يشن هجوما عنيفا تمكن من خلاله بإستولاء على عشر سفن و بعد هذا الإنتصار توجه علج علي إلى قلب المعركة ورغم تجمع سفن العدو و محاولتهم تجميع الصفوف و محاصرتها إلا أنه تمكن من عودة بها إلى إستانبول دون خسائر تذكر خلافا على بقية

(1)-صالح حيمر، المرجع نفسه، ص:154

(2)-المرجع نفسه،ص ص:155،154.

الأسطول العثماني الذي أحرق أو أغرق و لهذا[1]أن الأسطول الجزائري هو الوحيد الذي الذي نجى من الكارثة التي حلت بالأسطول الإسلامي[2].

*الاحتلال الإسباني الثاني لتونس وإسترجاعها: بعد معركة ليبانت قررت إسبانيا تحت نشوة الإنتصار لمهاجمة تونس، و في سبتمبر955هـ /1573م تحرك دون جوان Doun Juan) d'Autriche) [3]من الصقلية إلى تونس على رأس أسطول يتكون من مئة و ثمانية و ثلاثون سفينة حربية على متنها سبعة عشرين ألف جندي[4].

تمكن من إستيلاء على تونس دون مقاومة، لم تكن الدولة العثمانية لتسكت على ضربة تونس فجهز السلطان العثماني الأسطول يتكون من مئتين وخمسين سفينة تحمل أربعين ألف جندي بقيادة علج علي وسنان باشا ووصل الأسطول يوم 13 جويلية أين إنضم لهم حيدر باشا قائد القيروان[5].

بدأت المعركة يوم 17 جويلية و دخلت القوات العثمانية مدينة تونس و في هذه الفترة كان علج علي يقوم بدور فعال حصار حلق الوادي و بدأ القصف الإسلامي ضد حلق الوادي يوم 21 جويلية 956هـ/1574م وهدم أجزاء كبيرة من الأسوار وقد دام الحصار

---

[1]- صالح حيمر،المرجع نفسه،ص:156.

[2]-المرجع نفسه ،ص:156.

[3]-دون جوان: هو إبن غير شرعي لشاركان ولد بمدينة راشبون 1545م بعد موت أبيه حاول فليب الثاني إدخاله في أحد الرهبان لكنه رفض فعينه قائدا في جيشه وفي سنة 1570م كلفه بتصفية ثورة مسلمي غرناطة حيث سلط عليهم شتى أنواع الذل والإهانة والعذاب، ينظر: المرجع نفسه،ص:135.

[4]-جون ب ولف، المرجع السابق،ص:130

[5]-المرجع نفسه، ص:130.

شهرا تمكنت من خلاله من السيطرة على حلق الوادي وإسترجعت تونس وتم ضمها مرة ثانية للدولة العثمانية[1].

لقد كان للبحرية الجزائرية دور كبير في المعارك التاريخية الكبرى و بالرغم من انفصالها عن الخلافة العثمانية إلا أنها كانت تشارك في الحروب التي خذتها[2]،و لقد لعبت دورا هاما في تطور الجزائر و أثرت على توازن القوى في حوض بحر الأبيض المتوسط[3].

في نهاية سنة 959هـ/1577م بعد إنتهاء الصراع والذي أحترم منذ بداية الخلافة العثمانية رافعتا لراية الجهاد الإسلامي وحامية الأقطار الإسلامية من جهة والإمبراطورية الإسبانية التي رفعت لواء الحروب الصليبية وهنا تحولت القرصنة وتوطدت وصارت تمثل النشاط الأساسي والمحوري للجزائر وأصبحت تشغل قطاعا هاما من الحياة الإقتصادية.[4]

إن هذا التحول الأخير في مهام البحرية تمثل في التكيف التدريجي للأسطول الجزائري مع الظروف العالمية الجديدة حيث إتجهت ملكية السفن شيأ فشيأ نحو الملكية العامة وأصبحت الجزائر أكثر إنتضاما من سابق تمارس الجهاد البحري مع إحترام القواعد الدولية لهذا العصر، ولقد إرتفع الجهاد البحري وأصبح مؤسسة إجتماعية محمية ومنظمة

(1)-صالح حيمر، المرجع السابق،ص:135.
(2)-محمد مبارك الميلي الهلالي، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث،ج:3،الجزائر:الميزان للنشر والتوزيع ،دط ، دس،ص:165.
(3)- المرجع نفسه،ص:165.
(4)-ا لمرجع نفسه،ص:14

بواسطة الحكومة القانونية التي حافظت على وجودها أكثر من ثلاثة قرون التي إنتهت بإمتصاصها وإحتكار ربحها[1].

*** إنعكاسات القوة الجزائرية على الوضع الإقتصادي:**

لقد كان الجهاد البحري أداة لعرقلة التجارة فرغم من أخطاره و ما يلحقه من خسائر للسفن إلا أن التجارة لم تتوقف مع موانئ أوروبا،وكان لهذه النشاطات البحرية دورا كبيرا في زيادة الغنائم البحرية الجزائرية [2].

***أماكن وضع الغنائم البحرية** : لم يكن ميناء الجزائر الوحيد، فقد إستغل البحارة الجزائريون ميناء المرسى الكبير بعد تحريره الأول سنة 1090هـ/ 1708م على يد الباي مصطفى بوشلاغم و أصبح يستقبل الغنائم كل يوم تقريبا [3]،أما على مستوى ميناء الجزائر فبمجرد وصول الغنائم إليه ميناء الجزائر توضع في مخازن قرب باب الجزيرة بعد جردها[4].

***الدول التي تغنم منها الإيالة الجزائرية**: يلاحظ أن الجزائر لم تتحصل على الغنائم الفرنسية وإنجليزية ويمكن إعتبارها قليلة فيما عدا الحالات المتنازع في شرعيتها أو الحالات التي يعترف فيها القناصل أنفسهم بشرعية الموقف الجزائري ويتمثل ذلك في حالات تهريب

---

(1)-محمد مبارك الميلي الهلالي، المرجع نفسه،ص:16.

(2)- رحمونة بليل، المرجع السابق ، ص ص: 23،22.

(3) – المرجع نفسه، ص ص: 23،22.

(4)- أمين محرز ، الجزائر في عهد الأغوات 1659م – 1671م ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة الجزائر : 2007م – 2008م ، ص: 139.

البضائع والأسرى والجوازات المزورة بصفة عامة ويمكن القول أنه قلما تتعرض سفن الإنجليز لذلك أيضا إلا في بعض الحالات التي يقع فيها بعض اللبس. [1]

إن أكثر الدول التي تعرضت لها الجزائر هي بالطبع ممالك الإيطالية المتعددة وفي مقدمتها مملكة نابولي لكن سفنها وحمولتها كانت ضعيفة القيمة[2]،أما الغنائم التي كانت لها قيمة في المحيط الأطلسي هي سفن الأمريكية و وقدرت الهولندية و الدانماركية و السويدية و الإسبانية بالأخص. [3]

*الغنائم البحرية الجزائرية من خلال المصادر الأوروبية: تعتبر المصادر الأوروبية التي تعرضت إلى عائدات الجهاد البحري الجزائري غير دقيقة نتيجة لمبالغتها حول حجم الغنائم، ومن بين الروايات التاريخية التي تطرقت لهذا الموضوع نذكر قدم الأب دان «Dan» الذي زار الجزائر سنة1016هـ/ 1634م وذكر أنه خلال الخمسة والعشرين أو الثلاثين السنة الماضية إرتفع عدد الغنائم حوالي ستة مئة مركب وأضاف أنه خلال الفترة ممتدة ما بين سنة1011هـ/1629م حتى منتصف 1016هـ/ 1634م صادر رياس البحر ثمانين مركبا فرنسيا وإثنين وخمسين منها في المحيط الهادي وثمانية في حوض البحر الأبيض المتوسط وألحقوا بالتجارة الفرنسية خسائر فادحة قدرت تقريبا بـ 4.752.000 فرنك[4].

[1]- المنور المروش ، المرجع السابق ، ص : 476.

[2]- المرجع نفسه ، ص : 476.

[3]-رحمونة بليل ، المرجع نفسه ، ص : 476.

[4]- بن سعيدان محمد ، المرجع السابق ، ص 50.

كمـا يظهـر ألبـير ديفـو لكـس«Devouloux» علـى أن الغنـائم بلغـت قيمتهـا حـوالي ثمانيـة وثلاثـين سـفينة في سـنة1056هـ/1674م وثلاثـة وثمـانين سـنة 1057هـ/1675م وخمسـين سـنة 1058هـ/ 1676م وواحـد وثلاثـين خـلال الأشـهر الثلاثـة الأولى مـن سـنة1059هـ/ 1677م(1).

يمكـن إعتبـار أن غنـائم البحريـة كانـت تزيـد بزيـادة الجهـاد البحـري وأطـوار إزدهـار الغنائم هي :

الطـور الأول : **مـن سـنة 962هـ/ 1580** م و إلى غايـة سـنة **988هـ/ 1606**م : سـادت فيـه شخصـية مـراد رايـس(2)قـام هـذا الأخـير بتطـوير الجهـاد البحـري في فترتـه حيـث تميـزت هـذه المرحلة بالزيادة الكبيرة في الغنائم البحرية.

الطـور الثـاني 989هـ/1607م إلـى 1009هـ/ 1627م : بلـغ الجهـاد البحـري ذروتـه في هـذه الفـترة حيـث أن التقـديرات الإجماليـة لمجمـوع الغنـائم في هـذه الفـترة بلغـت حـوالي نصـف مليـون قرش.

الطـور الثالـث مـن 1012هـ/ 1630م إلـى1026هـ/ 1644م: تميـزت هـذه السـنوات بإنخفـاض النشاط البحري الجزائري وبالتالي يلاحظ تراجع كبير في العائدات و الغنائم (3).

---

(1)-Albert Devouloux , op cit , p: 391.

(2)- **مراد رايس**: هو علج على ،كان في بداية مشواره المهني خادما في البحر تحت قيادة قارة على ثم ترقى إلى قيادة قطعة من الأسطول بقيادة علج على أثناء حصار مالطا و من أهم إنجازاته أنه قام بأسر سفينة صقلية و عليها الدوق تيرانوفا و القائد العام لصقلية ،كما أن أسره للسفينة البابوية جعلته بطلا بين أنداده ، و لكن مغامرته الأكثر جرأة كانت قيادته لقطعة من الأسطول تتكون من أربعة غيلوطات ، و العبور بها إلى مضيق جبل طارق إلى سلا ينظر : جون ب ولف ، المرجع السابق ، ص : 201.

(3)- المنور المروش ، المرجع السابق ، ص ص ص : 364 ، 365 ، 367.

* **تقسيم الغنائم** : كان يتم تقسيم الغنائم حسب ذوي الحقوق بعد أن يتم إنتزاع التكاليف[1] وأجور موظفين البحر وحقوق إيالة الجزائرية[2].

وفي الفترة المتأخرة كان الجهاد البحري الجزائري مزدهرا لكن في القرن الثامن عشر تراجعت القوة العددية للبحرية وتراجع معها نشاط الغزو البحري بشكل واضح إذ أن الجزائر في سابق غنمت سبعة عشر مركبا في سنة 1038هـ / 1656م وأسرت ستة عشر مركبا في المياه البرتغالية وحدها عام1043هـ/ 1661م في حين لم يغنم رياس البحر سنة 1190ه/ 1727م سوى خمسة و عشرين مركبا و مئتين و تسعة و أربعين أسير.[3]

ومع مرور الوقت تقلص مجال المناورة ففي سنة1043هـ/1661م كان الرياس يهاجمون السفن الأوروبية بلا إستثناء لكن في منتصف القرن الثامن عشر كانت أغلب الدول الأوروربية في حالة سلم مع الإيالة ما عدا مالطا وإسبانيا ومملكة نابولي، وفي سنة1135هـ/ 1753م إستولى رياس على إثني عشر سفينة فقط كلها إسبانية وبداية من هذه الفترة بدأت تنخفض عائدات الغزو البحري تدريجيا[4].

إن إزدياد نشاط الجهاد البحري في الجزائر كان له دورا كبيرا في زيادة عدد الأسرى بها حيث كانت هذه الأخيرة تعج بأعدادهم الهائلة.

---

[1]- رحمونة بليل ، المرجع السابق ، ص : 22.

[2]- المرجع نفسه ، ص : 20

[3]- محمد بن سعيدان ، المرجع السابق ، ص: 52.

[4]-المرجع نفسه،ص:52.

***الأسرى الأوروبيون الأوائل بالجزائر**: إن الحملات الإسبانية على الجزائر و مستغانم كان لها دور في إرتفاع عدد الأسرى من الكتلة الإسبانية إلى الآلاف[1]وعند سفر خير الدين بأسطوله البحري في أحد أيام ولدى إقترابه من ناحية ميورقة[2]أرسى عل ثلاثين ميلا منها فسمع أصوات المدفعية من المدينة فأقلع إلى هذا المرسى وإلتقى مراكب ملك إسبانيا عليها بعض الأسرى التونسين فقام بإنقاذهم والإستحواذ على تلك السفن، وجعلت القيود التي كانت في أرجلهم على رجل النصاري المأسورين قامت بإحراق المراكب ولقد كان يتزايد عدد الأسر تدريجيا بإزدياد الجهاد البحري والدفاع عن المناطق الساحلي وإنتصارات التي كانت تحققها الاساطيل الجزائرية،.للإطلاع على عدد الأسرى الذين كانوا في الجزائر من خلال جدول (تقديرات الأسرى حسب المصادر الأوروبية 962هـ-1580م / 1111هـ-1729م): [3]

السنة	المصدر	عدد الأسرى
1580	دييغودي هايدو	حوالي 25.000
1619	غراماي	32.000 / 35000
1625	سالفوغو	25000
1634	الاب دان	25.000

(1)- المنور المروش، المرجع السابق، ص : 161.

(2)- **ميورقة**: هي جزيرة في البحر الابيض المتوسط قد فتحها عصام الخولاني على عهد الامير الاموي عبد الله بن محمد عبد الرحمن سنة 290هـ استطاع اسبانيون أن يحتلوها في 628هـ ، ينظر : مؤلف مجهول غزوات عروج و خير الدين تصحيح تعليق نور الدين عبد القادر، الجزائر:، المطبعة الثعالبية ط1 ، 1934 ، ص : 99.

(3)- المصدر نفسه، ص: 99.

1640	جوزي دي تاماتو	40.000
1640	إيمانويل دارندا	40.000 / 30.000
1660	لويس دو ماي	5.000
1665	دوفال	40.000 أزيد من
1671	لاب لوفاشي	14.000
1675	الفاس دارقيو	12000 /10.000
1675	ج – ب وولف	18.000
1683	ماتسون – مالية	40.000 /35.000
1684	يتس دي لاكووا	35.000
1693	لورانس (أرشف)	4.000
1698	لورانس (نفسه)	2.600
1700	حوملان ودي لاموت	10.000 /8.000
1701	لورانس (أرشف)	3.000
1719	غودقيل (الاطلس)	4.000
1729	شاد	10.000 /9.000

يلاحظ من خلال الأرقام الواردة في الجدول أن المصادر الأوروبية إختلفت في تعداد الأسرى بالجزائر ففي سنة 962هـ / 1580م قدر ديغودي هايدوا أن عدد الأسرى في الجزائر بحوالي 2500 أسير و أما في سنة 1057هـ / 1675م فقد ذكر القس دراقيو أن عدد الأسرى

بالجزائر تراوح عددهم بين عشرة آلاف وإثنان عشر ألف أسير بينما حدد ج ب ولف عددهم في السنة نفسها بثمانية عشر ألف أسير.

و من بين أكبر التقديرات لعدد عدد الأسرى في الجزائر كان خلال سنة 1047هـ / 1665م قدر فيها عدد الأسرى بالجزائر أزيد من 40 أربعين دان سنة 1016هـ / 1634م حيث كان عدد الأسرى بالجزائر 25 ألف.

نظرا لإختلاف في تعداد الأسرى نفس السنة بشكل كبير، يمكن القول أن المصادر الأوروبية عملت على تضخيم عدد الأسرى بالجزائر وبالغت المصادر للأوربية في تقديرها لعدد الأسرى بمدينة الجزائر .

*مكان تواجد الأسرى الأوروبيين: عند وصول الأسرى إلى الجزائر يؤخذون إلى أحد السجون الثلاثة وهي تابعة للبايلك مخصصين لمصالح الملاحة والخدمات الاجتماعية ، الأول ويعتبر الأكبر ويدعى "سجن بايلك"والثاني يدعى "سيدي حمودة" نسبة لضريح الوالي المدفون بالقرب منه والثالث سجين "أشغال الشاقة"[1].

*المشرفين على الأسرى الأوروبيون بإيالة الجزائرية: يشرف على الأسرى بالجزائر العديد من العمال منهم:أولاكزفانة (caravat) هم الذين يتزعمون العبيد والعمال ولكن سجن فيه عبد له لقب ككاتب له هيئة مبتهجة ويتساهلون معه في بضع سنين لحسن سيرته في

[1] مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ص : 99.

السجن.أما ثانيا ضباط سيد (Gardien bache) هو ضابط تركي و قائد للعبيد مهمته تحديد أعمالهم [1]

***بيع الأسرى الأوروبيون:** كان يتم شراء الأسرى من قبل تجار متخصصون يجنون أرباحا مضاعفة للإتجار بهم ويذكر أحمد شريف الزهار في كتابه الموسوم بمذكرات أحمد شريف نقيب الإشراف ".... وكانت تلك الغنائم تباع بباب البادستان فيقع للتجار الربح القوي ووفير وكان السماسرة ينادون على الأسرى وقيمة كل أسير ميتادورو فكان الناس يملكونهم مدة ما أقاموا أسارى..." [2].

ويشتري الخواص العبيد بالمزايدة ويستأجرونهم بنصف سكين جزائري (نقد ذهبي إيطالي قديم) لمدة شهرين.

***وظائف الأسرى الأوربيون بإيالة الجزائرية:** كان الأسرى الأوروبيون يشترون ويصبحون خدام للقناصل و للتجار و العمال والحرفيين أوروبيين وخدم لأرباب الإسبانيين و هناك من وجد نفسه بين أيدي اليهود ليصبح خدما له في منزله، أما العبيد الذين كانوا يعملون كخدم لدى الباي أو أغنياء وأرباب العمل كانت معيشتهم رغيدة والّأسرى العبيد ذو سيرة حسنة يصلون إلى مرتبة كاتب البحري أو كاتب في سجن أسرى لدولة[3].

([1])-Venture de paradis Alger au XVIII siècle , Alger typographie Adolph Jourdan , imprimeur libraire 1989, p 220.

[2] أحمد الشريف الزهار ، مذكرات أحمد شريف نقيب أشراف الجزائرية 1754م-1830م،تح تع : مدني أحمد توفيق ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر و توزيع ، ط2 ، 1980 ، ص : 27.

[3]- محمد بن موفقي ، المرجع السابق ، ص : 89.

***معاملـة الجزائـريين للأسـرى الأوروبيـين:** لقـد إدعـى الأوربيـون أن أسـراهم كـانوا يعـاملون في الجزائـر معاملـة سـيئة ويتعرضـون لشـتى أنـواع العـذاب(1)، ولكـن معاملـة الجزائـريين الأسـرى كانـت غـير ذلـك، فعنـد دخـول العثمـانيين إلى مدينـة الجزائـر وإنهـزام النصـارى في حملـتهم علـى المدينـة، أسـر خـير الـدين آلاف مـنهم ومـن بيـنهم ستة وثلاثـين مـن القـادة وكـان أحـدهم جريحـا فـأمر خـير الـدين بمراعـاة مأكلـه ومشـربه ،والقيـام بكـل يجـب و قـد أسـرى خـير الـدين الكثـير مـنهم و في أحـد محـاولتهم للفـرار جـرح فـتى صـغير مـنهم فـأمر خـير الـدين بعلاجـه حـتى بـرئ(2)، و يقـول أسـير تيـدنا(3) الـذي وقـع في أيـدي غـزاة الجهـاد الجزائـريين أنهـم لم يعـاملوا معاملة سيئة(4).

إن كثـرة عـدد الأسـرى يـدل علـى نشـاط الجـيش البحـري وقوتـه، كمـا تـدل معاملتـه خـير الـدين بتـوفير المأكـل والمشـرب والملـبس والعـلاج للمرضـى علـى أخلاقـه الإسـلامية وحلمـه(5)، فلـدى وصـول العبيـد النصـارى إلى الجزائـر يمنحـونهم قمصـانا و ألبسـة داخليـة عريضـة مـع قفطان من نفس القماش وقبعة حمراء وحذاء وغطاء حريري يستبدل كل سنة(6).

(1)- أمين محرز ، المرجع السابق ، ص : 139.

(2)-المرجع نفسه ، ص : 139.

(3)- ولد تيدنا سنة 1758م في يوريس من عائلة كاتوليطية ميسورة الحال كان مسافرا في أحد السفن و عندما هبت الرياح هاج البحر فوض عليهم السير في إتجاه غير إتجاههم و عندما وصلوا إلى وسط خليج ليون لاحظوا مركبين ولم يسمح لهم البحر الهائج بمعرفتها حيث أصبح المركبان بقربهما تبن أنهما مركبان جزائريان فبادرا بالهجوم عليهم وإستولوا على المركب وكان على متنه ثلاثة عشر شخص ومنهم مريضان ، ينظر : عميراوي أحميدة ،الجزائر في أدبيات رحلة الأسر الجزائر : دار هومة ، وط ، 2009 ، ص : 33 .

(4)- المرجع نفسه ، ص : 33 .

(5)- مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ص : 69.

(6)-Ventoure de Paradis, op, cit, p220.

***إفتداء الأسرى الأوروبيون بإيالة الجزائرية**:كانت عمليات الإفتداء تتم بتدخل القناصل أو دبلوماسيين أو أوروبيين غالبا ما يكون القساوسة مختصين في هذه العملية مثل جماعة الثالثون المقدس (Les trinitaires) التي كانت تشرف على أهم العمليات الفداء بالجزائر وفي سنة 1180هـ/1798م.

كان لها حوالي مئتين وخمسين فرعا في البرتغال وإسبانيا وإيطاليا ومجموعة المرشد منتشرة(Mercedaires)وجماعة أباد الرحمة (الفرنسيان)[1] وللإطلاع على ثمن الافتداء وعددهم من خلال جدول (سعر إفتدء الأسر):

السنة	عدد المفتدين	كلفتهم (فدية ورسوم باليوزو)	متوسط كل فدية (باليوز)
1702	482	126.107	216.63
1711	280	115.770	413.46
1723	414	130.126	314.31
1730	345	121.133	351.11
1739	394	111.262	282.39

نلاحظ من خلال الجدول أنه كلما زاد عدد المفتدين زادت كلفتهم وإنخفض متوسط كل فدية فمثلا سنة 1084هـ /1702م كان عدد المفتدين 482 وكلفتهم 126.107 باليوز ومتوسط كل فدية 216.63 باليوز بينما أن سنة 1093هـ/1711م كان أن عدد

[1]- محمد بن سعيدان، المرجع السابق ، ص: 55.

أسير وكلفتهم 115.770 باليوز ومتوسط كل فدية 413.46 باليوزو لذلك نلاحظ تفاوت تكاليف إفتداء الأسرى لهذه السنوات نظرا لطبيعة العلاقات بين البلدين.

لم تكن عملية إفتداء الأسرى الإسبان قبل 1168هـ / 1786م في الجزائر بالعملية السهلة ولعل أهم الصعوبات التي إرتبطت بقضية الأسرى هي تلك التي تعلقت بطبيعة العلاقات الثنائية بين الجزائر وإسبانيا،والتي غلب عليها طابع العداء منذ مطلع القرن الخامس عشر ونظرا لإنعدام التمثيل الدبلوماسي بين البلدين فقد كان يتم إعتماد على الأوربيين من الدبلوماسيين وغالبا ما يكونون من الفرنسيين[1]، وللإطلاع على الأسرى المفتدين من قبل رجال الدين من خلال الجدول(أثمان إفتداء).

السنوات	1644	1662	1666	1683	1685	1710	1730	1735
ثمن الافتداء	155 ليرة فرنسية	500 فلورين	600 ليرة فرنسية	750 فلورين	800 ليرة فرنسية	720 ليرة فرنسية	925 ليرة فرنسية	1265 ليرة فرنسية

نلاحظ أن إفتداء الأسرى بدأ يتصاعد تدريجيا من 1026هـ / 1644م إلى غاية 1092هـ / 1710م حيث في سنة 1026هـ/ 1644م التي كان فيها ثمن 155 ليرة فرنسية لشخص الواحد ليصل في 1085هـ / 1685م إلى 800 ليرة فرنسية لكن في سنة 1092هـ /1710م أصبح ثمن افتداء 720 ليرة فرنسية أي أنه نقص بـ 50 ليرة لكنه عاد إلى الإتفاع بشكل كبير إلى 1265 ليرة فرنسية سنة 1117هـ / 1735م، هذا الجدول يبين أن أسعار الإفتداء

[1] حوجة حمدان بن عثمان المرآة ثق ، تح:الزبيري محمد العربي ، الجزائر الشركة الوطنية للنشر و التوزيع : ط 1975م ، ص: 181-182.

/1710م أصبح ثمن افتداء 720 ليرة فرنسية أي أنه نقص بـ 50 ليرة لكنه عاد إلى الإرتفاع بشكل كبير إلى 1265 ليرة فرنسية سنة 1117هـ / 1735م، هذا الجدول يبين أن أسعار الإفتداء لم تكن ثابت وكانت في تغيير مستمر لكن أغلبه كان نحو إرتفاع، وتجدر الإشارة إلى أن إنخفاض المسجل في عدد الأسرى قابله إرتفاع محسوس في ثمن الفديات.

كان يتطلب تحرير الأسرى دفع فدية إلى جانب النفقات الأخرى التي كانت تحددها قوانين الدولة كما توجد عدة طرق للإفتداء إما عن طريق التجار اليهود بما لديهم من الوكلاء في كل من مرسيليا وإيطاليا وفي غالب هم وكلاء للدفع أو عن طريق التجار الإنجليز والفرنسيين في لندن ومرسيليا، إلى جانب عدد من القناصل الأوربيين بالإضافة إلى القساوسة الذين كانوا يشرفون على الأموال التي جمعها الرهبان في البلاد النصارى[1] .

كانت عملية الإفتداء عاملا مهما من العوامل التي تحكمت في العلاقات بين البلدين إلى جانب الصعوبات الإجرائية لإعداد رحلة الإفتداء كان لابد من الحصول على وثيقة جواز السفر الرسمية « Passport » والتي بدونها قد يتعذر الوصول إلى البر الجزائري ، كما أن التجهيز لرحلة الفداء في البر الجزائري بالأمر الهين في ظل حالة التوتر الغالبة على العلاقات الجزائرية الإسبانية [2].

---

(1)- محمد بن سعيدان ، المرجع السابق ، ص: 57.

(2)-المرجع نفسه، ص 56.

3) المبحث الثالث: مرحلة الضعف(1198هـ-1817م/1209هـ-1827م)

عملت الدول الأوربية من أجل القضاء على النشاط البحري الجزائري وكانت المؤتمرات التي عقدتها خير دليل على ذلك.

*المؤتمرات الأوروبية ودورها في اضعاف الأسطول البحري الجزائري:

*_**مؤتمر فينا**: في أواسط عام1196هـ/ 1814م إجتمع الساسة الأوروبيون في مؤتمر بمدينة فينا وطرحوا أمامهم عدة مشاكل أسموها بالقرصنة المغربية ومسألة الرقيق وتحرير الأسرى الموجودون بالجزائر، وهكذا بدأت الدول الغربية في تدويل قضية الجزائر وطرابلس والخلافة العثمانية بشكل عام في مؤتمر فينا الذي أكد قراراته نهائيا بتاريخ 9يونيو 1197هـ / 1815م ووقف القرصنة والإسترقاق في الجزائر وتونس وطرابلس، وكان وراء هذه الإفتراءات وإتهامات الغربية محاولة إعطاء الشرعية للسيطرة على الجزائر وإخضاعها[1].

*-**مؤتمر إكس لاشابيل** 1200هـ/ 1818م: يعتبر مؤتمر إكس لاشابيل من المؤتمرات التي تعرضت للقضية الجزائرية والذي إنعقد عام (1200هـ/1818م) على مبدأ القضاء على دار الجهاد ففي 5 سبتمبر 1196هـ/ 1815م قدمت قطعة بحرية إنجليزية فرنسية إلى الجزائر ليعلنا إلى داي قرارات مؤتمر إكس لاشييل الذي قررت فيها أوربا منع ممارسة «اللصوصية»

---

(1)-محمد بن سعيدان، المرجع نفسه،ص:18.

أو«القرصنة» وتجارة العبيد لكن الداي حسين [1] رفض بإصرار شديد إمضاء الوثيقة قدمت له بهذا الشأن[2].

إن هذان المؤتمران لم يكونا في صالح الجزائر حيث كان من نتاجها تكتل الدول الأوروبية لمواجهة ما كانت تسميه بـ «القرصنة الجزائرية» وسلكها لسياسة الضغط[3] التي كان من أبرزها توجيه الحملة الفرنسية الإنجليزية 1199هـ /1817م وحملة سنة 1206هـ/1824م ضد الموانئ الجزائرية[4].

2)- معركة نفارين وإنعكساتها على الإيالة الجزائرية (1209هـ/1827م)

تعتبر معركة مرحلة تاريخية حاسمة في تاريخ الجزائر إشتبك الأسطول البحري الجزائري مع الأسطول الفرنسي في محاولة له في فك الحصار[5] ومنها المعركة البحرية التي دارت أمام مدينة الجزائر العاصمة يوم 4 أكتوبر (1209هـ/1827م) والتي إلتقي فيها الأسطول الفرنسي بقيادة الأميرال كولي بالأسطول الجزائري المكون من إحدى عشر سفينة كانت تحاول فك الحصار وإبعاد قطع العد والبحرية عن السواحل الجزائرية[6] محاولة تقوية الحصن[7]

---

(1) - **الداي حسين**: هو أخر أعلام الحكام العثمانيين في الجزائر الذي تولى شؤون الإيالة منذ 1818م خلفا للداي على خوجة وقد إشتهر بغيرته على الدين ويقضة الدائمة ولكن الفترة التي تولى فيها كانت فترة حرجة على مستوى المستويين الداخلي والخارجي ينظر:عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 2007، ص: 15.

(2)- صالح فركوس، المرجع السابق ، ص: 10.

(3) – عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص: 15.

(4) –المرجع نفسه، ص: 15.

(5) –عمار هلال، المرجع السابق، ص: 47.

(6) –ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص: 82.

(7)–Ernest mercier,Histoire de L'Afrique Septentrionale,Paris,L'eroux éditeur, 1968, p: 68.

و يصف الطبيب الألماني سيمون بفايفر[1] تلك المعركة قائلا «**في ليلة مقصرة غادر الأسطول الجزائري شواطئ مدينة الجزائر وفي صبيحة يوم التالي صعد أغلب أهالي مدينة إلى سطوح لمشاهدة المعركة البحرية ..... وعندما بزغت الشمس من البحر في روعة ..... سمعنا هدير المدافع ينطلق من البحر ورأينا سفن الأمن تتجه نحو بعضها البعض**».

تألفت قطع الأسطول الفرنسي من أربع سفن وبارجة حربية وحراقة وسفينة شراعية ذات صاريين وشونة[2]وهجم الأميرال كوليت بدقة[3].

ولقد أحاطت أربعة سفن بالبارجة الفرنسية وبالحراقة سفينتان والمركب الشراعي سفينتان وهاجمت الشونة سفينة واحدة وقاتل الجزائريون بضراوة والفرنسيون بضراوة أشد وبعدما أن دامت المعركة البحرية عدة ساعات[4]وبالرغم من أن الفرنسيين لم يقاوموا الجزائريين إلا بفرقاطة وسفينتين قلعتين وزورق مسلح[5]، وإختفى الفرنسيون من المعركة وعادت السفن الجزائرية إلى الميناء وقد ألحقت بها أضرار بالغة.

(1) -**جورج سيمون فريدريك**: ولد يوم 09 سبتمبر 1806 بمدينة رومس بمقاطعة راينهيس، فقد والديه عندما بلغ السادسة من عمره فكفله بعض أقارباءه وأرسلوه إلى المدرسة ، وفي سن الثالثة عشر شعر بميله إلى فن الجراحة ، فدرس الطب على يد البارون فون ليبيغ وجاء إلى الجزائر أسيرا ومكث بها خمس سنوات ومارس مهنة الطب بها ، ينظر: سيمون بيفايفر، مذكرات جزائر عشية الإحتلال، تر، تق، تع: دود أبو العيد، الجزائر: دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، د ط،2009م، ص: 05.

(2) – ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص : 82.

(3)-Ernest mercier, op , cit p :68.

(4)-ناصر سعيدوني، المرجع السابق، ص: 14.

(5)- Enest mercier ,op, cit , p : 69.

وفي 5 فبراير (1209هـ/ 1827م) عرضت إنجلترا رسميا على الدولة العثمانية العلية أن تتوسط جميع الدول بينها وبين[1] التابعين لها فلم تقبل ذلك بل أجاب سفيرا إنجلترا بتاريخ 15 من ذي القعدة من السنة نفسها وبعد التروي والتأمل في عاقبة التدخل فإنها لم تسمح ولن تسمح به مطلقا فإغتاضت الدول من هذا الجواب وإتفقت كل من فرنسا وإنجلترا وروسيا بمقتضي تاريخ 11 من ذي الحجة من السنة نفسها على إلزام الباب العالي بالقوة بمنح بلاد اليونانية إستقلالها وأمهلوا الباب العالي شهرا لإيقاف الهجمات العدوانية اليونانية أصدرت الدول أمرا بتوجه إلى السواحل اليونانية،إذ أمروا إبراهيم باشا بالكف عن القتال فأجابهم أنه لا يتلقى الأوامر إلا من سلطانه وكانت معركة نفارين من أعنف المعارك البحرية بين الأساطيل الجزائرية والمصرية التي كانت تشكل درعا واقيا للأمة الإسلامية وبين الأساطيل الإنجليزية والروسية، ولقد دخلت الجيوش الأوروبية المتحالفة إلى مرفأ نفارين دون أن ترفع أعلام الحرب لذا فقد كان دخولها خديعة وقامت هذه الأساطيل بمباغتة الأسطول العثماني والمصري والجزائري وغدرت به، وتعد هذه المعركة من بين المعارك التاريخية الهامة وكانت خلاصتها إنهزام الذي وقع لأكبر الأساطيل البحرية الجزائرية والعثمانية[2].

---

(1) – محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: إحسان حقي ، دار النقاش، ط: 1 ، ص: 426.

(2)–محمد فريد بك، المصدر نفسه، ص ص: 426 ، 427.

تكرر الصدام البحري بين السفن الجزائرية والفرنسية فوقع إشتباك يوم 25 أكتوبر 1210هـ/ 1828م بالقرب من مدينة كاكسين غرب مدينة الجزائر تمكن فيه قبطان السفينة لابروطونيير من تدمير أربعة سفن الجزائرية[1].

كان طبيعيا أن تسقط الجزائر بسهولة في أيدي الفرنسيين يوم 5 جويلية (1212هـ/ 1830 م) وذلك بسبب تحطيم الأسطول الجزائري في معركة نفارين فلم تجد الجزائر مدافعا لها في البحر وأيضا بسبب إنفراد الداي بالسلطة وإعتماده على مجموعة من الجنود والأقرباء الذين لم يكونوا خبرة وكفاءة السياسية والعسكرية.

4)المبحث الرابع: انهيار القوة الجزائرية البحرية (1209هـ-1827م/1212هـ-1830م)

تمثلت فترة الحصار البحري على السواحل في المرحلة الاخيرة لتحطيم الأسطول الجزائري

1)- المشاريع الفرنسية لاحتلال الجزائر: لقد كانت فرنسا تطمع إلى إحتلال الجزائر منذ زمن طويل ووجدت فرصة لتحقيق ذلك مستغلتا الظروف التي كانت تمر بها الإيالة الجزائرية وتجسدت هذه الأطماع بحملتها على الجزائر 1212هـ /1830م.

تميزت العلاقات الجزائرية الفرنسية بعديد من التقلبات ففي بعض الفترات تكون سلمية وفترات أخرى عدائية ويمكن القول علاقات الفرنسية الجزائرية في بداية كانت طيبة عموما ولكن في الفترة الأخيرة بدأت العلاقات العدائية تزيد حدة ويمكن تلخيص هذه الأخيرة:

([1]) - ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق ، ص: 14.

تميزت العلاقات الجزائرية الفرنسية تارة بالسلم، وتارة أخرى بالعداء وصل إلى حد الاصطدام العسكري؛ فقد تحصلت فرنسا منذ القرن السادس عشر ميلادي على إمتيازات في الجزائر خاصة فكانت لها مؤسسات تجارية في كل من عنابة القالة والقل ،كانت هذه المؤسسات تدفع الضرائب سنويا المتفق عليها إلى الباشا من جهة وإلى باي قسنطينة الذي تقع هذه المؤسسات في إقليمه، وكانت فرنسا مقابل ذلك تتمتع بحق صيد المرجان وتصدير الحبوب إلى إسبانيا(1).

تطورت العلاقات فكانت على أحسن حال في عهد الثورة الفرنسية، إذ إعترفت السلطة الجزائرية بالجمهورية الفرنسية الجديدة(2)ولقد عقدت معها عدد كبير من المعاهدات والإتفاقيات بين الدولتين إبتداء من 29 مارس 1001هـ/1619م وإلى غاية 5 يوليو 1217هـ/1835م معاهدة تخدم أكثرها مصالح فرنسا وتعاقب حوالي 96 قنصل و70 دبلوماسيا على الجزائر(3).

كما تعرضت الجزائر إلى الكثير من الهجمات الفرنسية ويرجع ذلك إلى عدة أسباب من بينها الموقع الجغرافي والثروات الطبيعية، وإزدادت العلاقات الجزائرية الفرنسية(4) تواتر خلال عام 1002هـ/1620م حيث حاول لويس الرابع عشر تحسين العلاقات مع الجزائر لكن الرأي العام فرنسي كان متأثر بالتعصب الديني فيعارض كل سياسة تهدف إلى

(1)- عمار بوحوش، المرجع السابق، ص: 20.

(2) - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص: 13.

(3)- صالح فركوس، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر 1830-1925م، مديرية النشر لجامعة قالمة ، د ط، 2010، ص: 5.

(4)- إبراهيم ناهد دقوسي، المرجع السابق، ص: 20.

إقرار السلم مع أي دولة الإسلامية وفشلت بذلك جميع الحملات البحرية التي قامت بها فرنسا في عهد لويس الرابع عشر ضد الجزائر[1]،ولقد تعددت أسباب النزاع الفرنسي الجزائري نذكر أهمها:

- تطلع فرنسا إلى تحقيق المكاسب الواسعة في الجزائر.

- إعتماد أسلوب القوة إتجاه أي خلاف ينشب بين الجزائر وفرنسا في البحر.

-شركة لنش[2] المركز التجاري الفرنسي الموجود في كل من القالة وعنابة.

ولقد كانت فرنسا من بين الدول التي نظرت إلى الجزائر بعين الطمع وتجلى ذلك في الإستيل 1217هـ/1830م بمدة طويلة وتعددت المشاريع التي أعدتها للإحتلال منها:

مشروع ديكارسي (Dekercy) عام 1173هـ/1791م: وهو من أهم المشاريع الإحتلالية ولكن ظروف فرنسا السياسية والإجتماعية حالت دون تنفيذه حيث عمت المجاعة بفرنسا وقلت موارد العيش، فسارعت الجزائر إلى تقديم مساعدات مادية وقروض مالية لفرنسا مكنتها من الخروج من الأزمة[3].

(1)-المرجع نفسه، ص: 20.

(2)- لقد تأثرت العلاقات الفرنسية الجزائرية بموقف شركة لنش صاحبة الإمتيازات والتي كانت تتصرف بطريقة مخالفة لكل الإتفاقيات وهذا ما أثر على العلاقات السياسية بين البلدين، ينظر: إلى صالح فركوس، المرجع السابق، ص: 06.

(3)- عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر 1830م – 1962م،الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية، د ط ، 1995 ، ص:37.

مشـــروع بوتـــان: بعـد أن تحصـل نـابليون علـى تـرخيص الروسـي بـاحتلال الجزائـر أرسـل سـنة 1190هـ/1808م نـابليون المهنـدس بوتـان «Butin» [1] إلى الجزائـر لدراسـة الأرضـية ووضـع تصـميم لمشـروع الإحـتلال، ولكـن المشـاكل الـتي ظهـرت في إسـبانيا أجبرتـه علـى التـأخير بعـد أن أصـبحت مشـكلا عويصـا بالنسـبة لنـابليون ولم تحـل سـنة 1193 /1811م حـتى أصـبحت روسـيا علـى وشـك أن تكـون مشـكلا عويصـا لـه كـذلك وهكـذا وضـعت خطـة غـزو الجزائـر في رفوف الأرشيف[2].

بـالرغم مـن أهميـة هـذه المشـاريع فـإن تنفيـذها قـد أجـل وذلـك بسـبب المشـاكل الكبـيرة الـتي كانـت قائمـة بـين نـابليون والـدول الأوروبيـة الأخـرى وبعـض مشـاكل المسـتعمرات في المحيط الهادي كلها حالت دون التفكير الجدي في تنفيذها[3].

إن مشـروع إحـتلال الجزائـر في الحقيقـة كـان ينـدرج في مشـروع التوسـع في الـوطن العـربي[4] ليتسـنى لفرنسـا فـرض سـيطرتها علـى حـوض البحـر الأبـيض المتوسـط وجعلـه بحـيرة فرنسية[5].

([1])- أقام بوتان بمدينة الجزائر مدة ثمانية وستون يوما أي من 9 ماي إلى 17 جويلية من عام 1808م خلال هذه المدة جاب البلاد من الشرق إلى الغرب دارسا السواحل الجزائرية وكل ما يتعلق بشؤون الأهلية وإقتصاديا وسياسيا كما تسلل بين الناس وجمع المعلومات هامة عن المجتمع والسلطة المركزية وقد وضع بوتان خرائط و رسومات دقيقة لكل تحصينات المدينة ومواقعها الحساسة موضحا كيفية ضربها و عدد القوات الفرنسية الضرورية لاحتلالها كما أشار في مخططه إلى مكان إنزال القوات الفرنسية و فترات المناسبة للإحتلال وكيفية توزيعها وزحفها، ينظر: المرجع نفسه، ص: 40 .

([2])- جون ب ولف، المرجع السابق، ص ص : 434 ، 444.

([3]) - عمار هلال ، المرجع السابق ، ص : 39.

([4])- صالح فركوس ، المرجع السابق ، ص : 10.

([5])- عمار هلال ، المرجع نفسه ، ص : 38.

كانت حادثة المروحة هي السبب المباشر الذي دفع فرنسا إلى فرض الحصار على الجزائر و لكن كان هناك دوافع أخرى التي إتخذتها من أجل إعلان الحصار عليها[1].

تعددت الأسباب التي جعلت فرنسا تعلن حصارها البحري على الجزائر ومنها إعتقادها بأن الجزائريين سيستلمون بسهولة نظرا للظروف الصعبة التي مرت بها الإيالة الجزائرية من نهاية قرن الثامن عشر ميلادي، وبالإضافة إلى هذا إستنجاد الخلافة العثمانية بواحدات الأسطول الجزائري والتي بلغت ذروتها في معركة نفارين 1209هـ /1827م حيث مثل الأسطول الجزائري ثلث الأسطول العثماني وفقدت أغلب معظم وحداتها عند إلتحام الأسطولين فتأكد لفرنسا أن البحرية الجزائرية فقدت خيرة ضباطها و جنودها[2].

يعود تاريخ الحصار البحري إلى يوم 16 جوان 1209هـ /1827م الذي ضرب على السواحل الجزائرية طيلة سنوات ثلاث سبقت نزول الجيش بسيدي فرج يوم 14 جوان 1212هـ/1830م[3]وهو في الحقيقة مرحلة من المراحل الحاسمة في تنفيذ مشروع فرنسا الإحتلالي وهو ما لم يشتبه إليه حكام الجزائر أنذالك[4].

2)- وقائع الحصار البحري لإيالة الجزائرية : عندما إحتجز دوفال في الجزائر أرسلت مجموعة من السفن إلى الجزائر بقيادة أميرال كوليت من أجل إرجاع القنصل دوفال إلى

---

[1]- المرجع نفسه، ص: 90. 209.

[2]- المرجع نفسه ، ص: 209.

[3]- عبد الرحمان نواصر، مسألة الديون الجزائرية على فرنسا وإنعكاساتها على علاقات البلدين في أواخر عهد الدايات ،مذكرة لنيل شهادة ماجستير تخصص تاريخ،جامعة غرداية:2010م-2011م، ص : 140.

[4] - صالح فركوس، المرجع السابق، ص : 12.

بلده[1]وقدمت الحكومة الفرنسية الأميرال كوليت صلاحية تقديم مطالبها في شأن الترضية والتي تتخلص فيما يلي:

1. أن يذهب الداي حسين بنفسه إلى مقر القنصلية ويقدم إعتذار رسميا للقنصل الفرنسي[2].

2. أن يرسل وفدا رسميا برئاسة وزير البحرية وكيل الحرج إلى أسطول الأميرال ليقدم إعتذار أمام الناس لقنصل و بإسم لداي[3].

3. أن يرفرف على كل حصون مدينة الجزائر العلم الفرنسي وتطلق مائة طلقة مدفعية لتحيته.

4. أن لا يتجاوز أجل القيود هذه المطالب ربعة وعشرين ساعة فقط[4].

كان من الطبيعي أن يكون الرد عدم القبول حيث صرخ الداي قائلا «**أتعجب كيف أن الفرنسيين لم يطلبوا مني زوجتي أيضا**»[5] ومهما يكن فقبول الداي حسين أو رفضه في نظر الفرنسيين كان مجرد هدف سياسي بحيث نلاحظ أنه في اليوم التالي[6]ظهرت البواخر الحربية يوم غير بعيد عن ميناء الجزائر تنتظر الإشارة الخضراء لرفع رايتها الحربية

---

(1) -Ernest mercier, op, cit ,p:68.

(2)-إبراهيم مياسي ، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر ، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ط: 2 ،2007م ص: 23..

(3) Ernest mercier , op , cit ,p:68.

(4) -كان هدف من تحديد أجل قبول هذه المطالب بـ 24 ساعة هو تمكين قادة الأسطول الفرنسي من إرغام حكام الجزائر على قبول بشروطهم القاسية ومذلة، ينظر : ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص: 82.

(5) - صالح فركوس ،المرجع السابق، ص : 12.

(6)- سيمون بفايفر،المصدر السابق ، ص:45.

ضد البلاد وفي هذا اليوم بالذات بدأ الحصار البحري الفرنسي فعليا على كل سواحل الجزائرية[1].

لم يكن الحصار البحري الفرنسي على مدينة الجزائر وحدها بل شمل جميع مناطق البلاد شرقا وغربا،وكان لهذا الحصار أثر سلبي على الجزائر حيث حال دون وصول المواد الأوروبية إلى الجزائر وفرنسا التي وجدته مكلفا لها، ويمكننا تلخيص هذه المراحل التي تم التطرق إليها من خلال التخطيط التالي الذي يبين مراحل التي مرت بها البحرية الجزائرية:

الإيالة الجزائرية

- المرحلة الأولى: قيادة العثمانية ووحدات العثمانية (894 هـ-1512م/917 هـ-1535م)
- المرحلة الثانية: قيادة الجزائرية ووحدات الجزائرية (917هـ-1535م/1209هـ-1827م)

مراحلها

- التأسيس (894هـ-1512م/917 هـ- 1535م)
- القوة (917 هـ- 1535 م / 1198 هـ- 1816 م)
- الضعف (1198 هـ- 1816م/ 1209هـ- 1827م)
- الانهيار (1209هـ - 1827 م/1212هـ -1830 م)

(1)- عمار هلال ، المرجع السابق ، ص: 45

خاتمة

لقد كان البحر الأبيض المتوسط منذ القديم نقطة صراع بين شعوب الضفتين فهدف كل الحضارات التي مرت به الإستفادة من أهميته الجغرافية والتجارية كما شكل نقطة صراع ديني بين الإسلام والنصارى وبذلك إكتسب أهمية كونه منطقة حضارية.

ساهمت خبرة العثمانيين بالبحر على تقديم يد العون و المساعدة لإخوانهم الجزائرين بعد إستنجادهم لهم و إستطاعوا بذلك تخليصهم من الإسبان وتحرير المناطق التي إحتلوها ولقد كان لهم دور كبير في حماية الإسلام في الجزائر إذ حالوا دون تنصيرها.

إزداد النشاط البحري في الضفة الشمالية للبحر الأبيض المتوسط خاصة بعد إنضمام الجزائر للخلافة العثمانية وتعددت تسمياته مثل اللصوصية و القرصنة و القورصو إلا أن الجزائر دعته بالجهاد البحري حيث كانت تقوم بحماية إقليمها من الغزوات و قد إحترموا المبادئ الإسلامية و القوانين البحرية المعترف بها دوليا.

مر النشاط البحري الجزائري بأربع مراحل تمثلت المرحلة الأولى في بناء الأسطول الجزائري وشهدت هذه الفترة نشاطات بحرية قليلة أما مرحلة الثانية فتعتبر مرحلة إزدهار النشاط البحري حيث خاضت الجزائر العديد من المعارك البحرية وحققت فيها الفوز الساحق و كان هذا عصرا ذهبيا للبحرية حيث أصبحت للجزائر قوة بحرية و هيبة دولية،لكن في الفترة الأخيرة من العهد العثماني بدأت أوضاعها تتدهور إلى غاية تحطم الأسطول في معركة نفارين(1209هـ/1827م).

أمـا بالنسـبة للأسـطول البحـري الجزائـري فقـد إزداد تطـورا خاصـة في فـترة إسـتقلال الأسـطول الجزائـري عـن الخلافـة العثمانيـة حيـث أصـبحت السـفن مـن أوليـات الحكـام فقـد إهتمـوا بصـناعتها وتطويرهـا وفي الفـترة الـتي تحولـت العديـد مـن السـفن البسـيطة إلى سـفن حربيـة ميـزت بخفتهـا وسـرعتها وبـرغم مـن التطـور الملحـوظ إلا أنهـا حافظـت علـى تسـمياتها مـن بداية نشاطها إلى غاية تحطيمه.

إن إزديـاد النشـاط البحـري الجزائـري أدى إرتفـاع عائـدات البحـر مـن غنـائم و الأسـرى الـتي خضـعت لمبـادئ الإسـلامية فمـثلا الغنـائم كانـت تقسـم بشـكل عـادل وكـل مـن سـاهم في الحصـول عليهـا يتحصـل علـى حصـته منهـا، أمـا الأسـرى الـذي كـان عـددهم في تزايد لقوا معاملة حسنة و ووفرت لهم السلطة إحتيجاتهم.

عرفـت الصـراعات القائمـة بـين ريـاس البحـر والجـيش الإنكشـاري منـذ إنضـواء الجزائـر تحـت لـواء الخلافـة العثمانيـة إلا أن الإنكشـارية لم تتحصـل علـى مكانـة الـتي كـان يحضـى بهـا ريـاس البحـر ودليـل علـى ذلـك أنـه لم يـبرز الجـيش الإنكشـاري كقـوة إلا في عهـد الأغـوات ومـع هـذا فشـلوا في تسـيير شـؤون الـبلاد إذ عمـت الفوضـى السياسـية وانتشـر الـتعفن الاداري والاقتصـادي بينما سيطر الرياس على العهود الأخرى في شتى الميادين.

خاتمة :

كانت الدول الأوروبية تنظر إلى الجزائر بعين الطمع خاصة بعد تحطم الأسطول الجزائري في موقعة نافرين،إذ سارعت فرنسا بشن حملة عليها مستغلة تحطم معظم وحدات أسطولها وقد مثلت هذه الحادثة منعرجا حاسما في تاريخ الجزائر حيث إتخذت فرنسا من حججها الواهية سببا لإحتلال الجزائر وفي هذه الفترة دخلت الجزائر مرحلة جديدة في مسيرتها التاريخية.

الملاحق

الملحق رقم (01) :

السفن المستعملة في الأسطول الجزائري

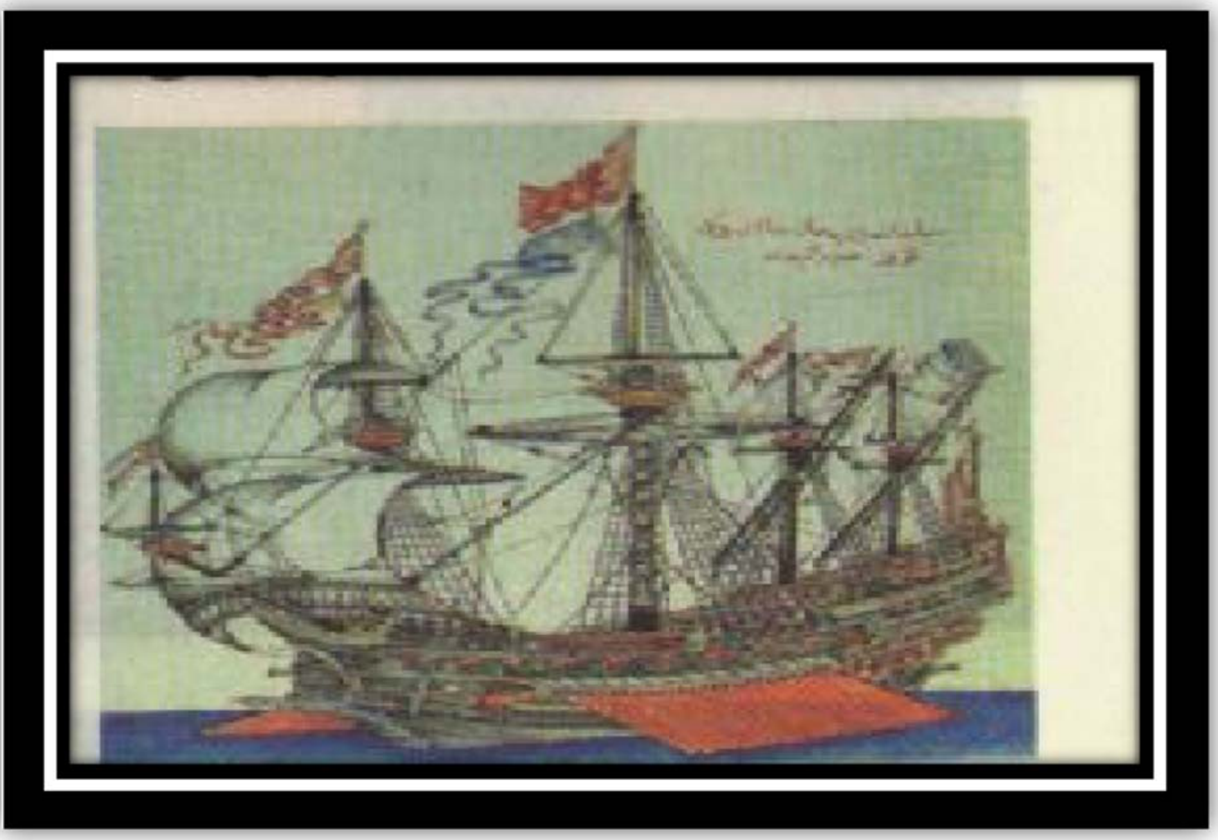


http://www.arabency.com

اليوم 2014/05/01 ، الساعة : 14:13 .

الملحق رقم (02) :

نموذج لسفينة قادرغة



مجهول ، مذكرة خير الدين ، المرجع السابق ، ص : 123

الملحق رقم (03) :

نماذج لسفن من نوع القادرغة على اليمين و القالير على اليسار.



محمد أمين عطلي ، المرجع السابق ، ص : 173.

الملحق رقم (04) :

صـورة لسفـن قادرغة و القـالير



محمد أمين عطلي ، المرجع السابق ، ص : 171.

الملحق رقم (05) :

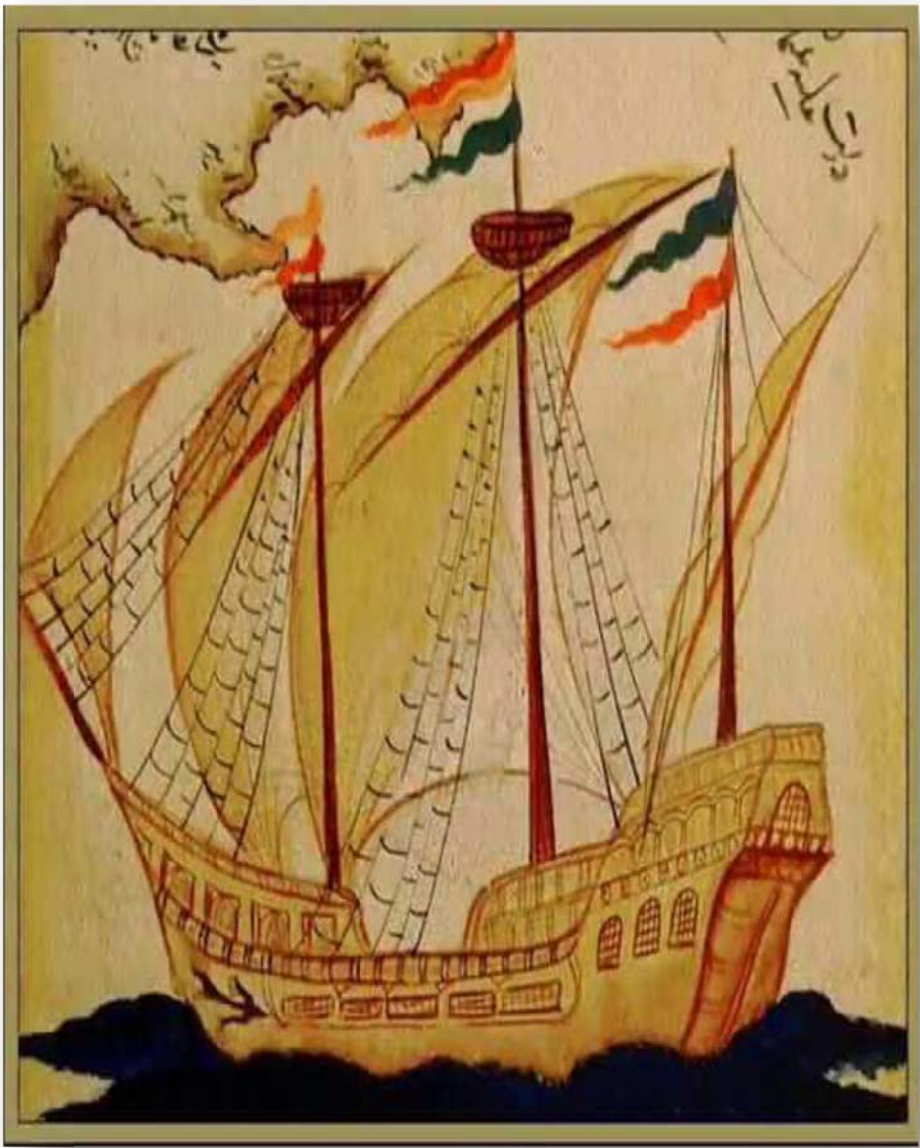
قادرغة عثمانية



أحمد مفيد صالح باشا ، المرجع السابق

الملحق رقم (06) :

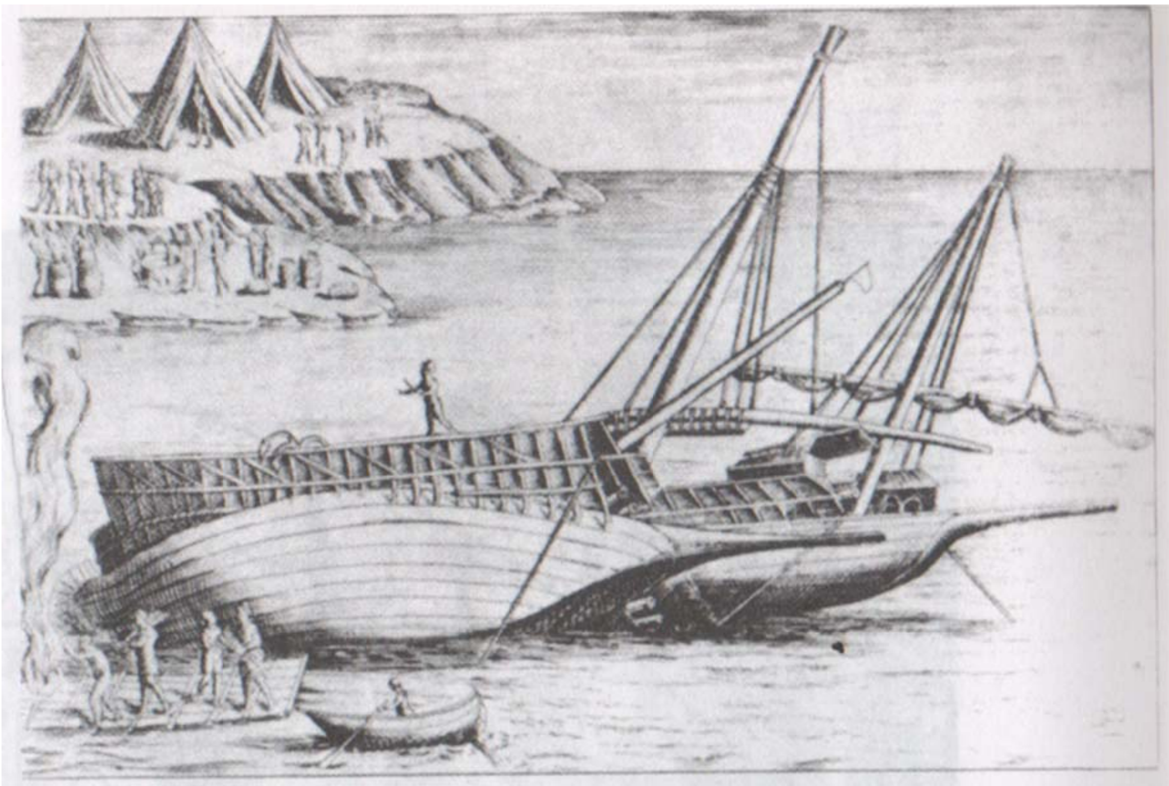
قادرغة بثلاثة رواصي



أحمد مفيد صالح باشا ، المرجع السابق .

ملحق رقم(07):

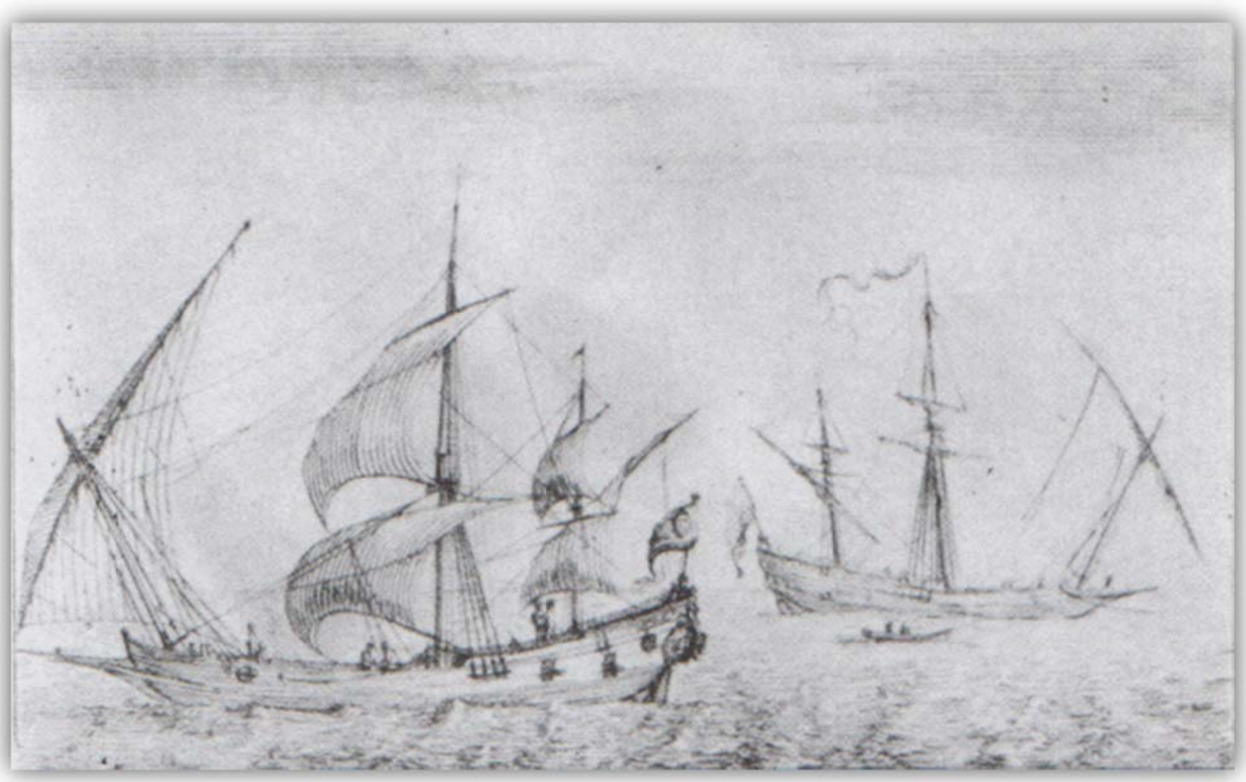
صورة لسفينة إبريقية



جون ب ولف، المرجع السابق،ص:436.

ملحق رقم (08):

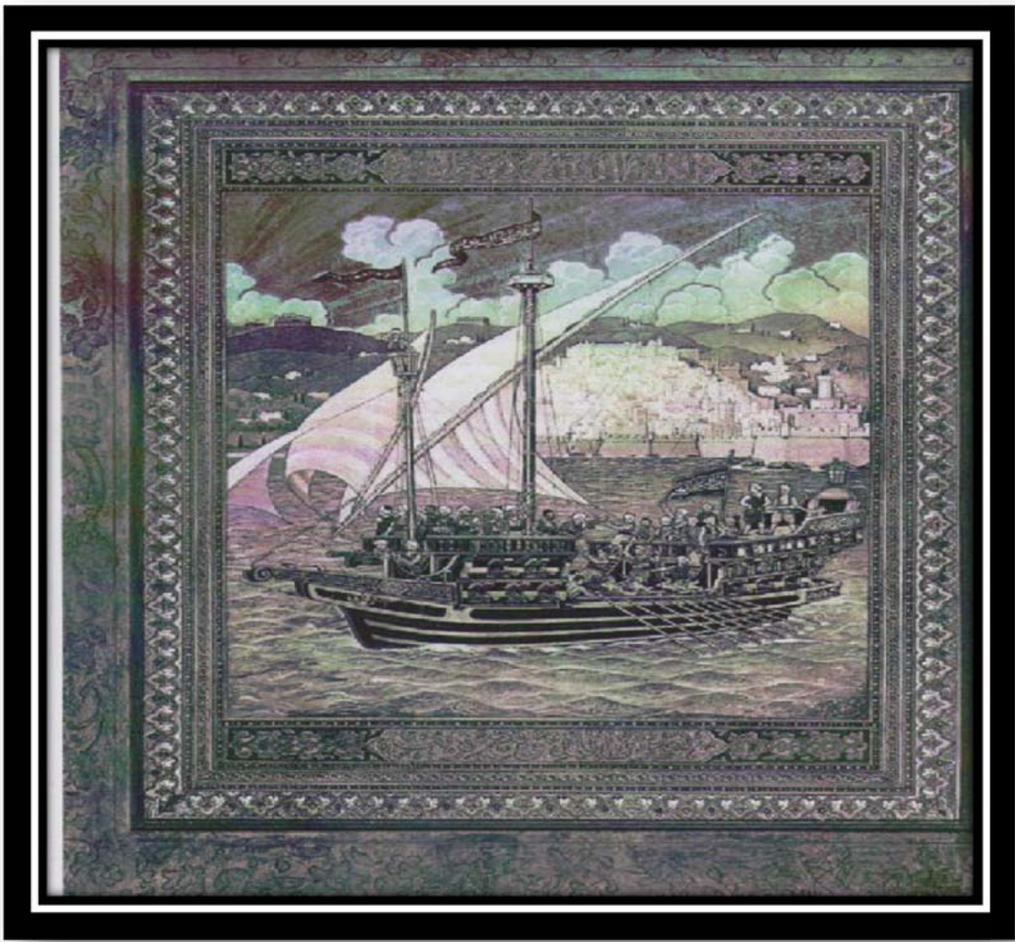
صورة لسفينة من نوعِ البولاكر.



جون ب ولف، المرجع السابق،ص:134.

الملحق رقم (09) :

صـورة لسفـن مـن نوع القالير



محمد أمين عطلي ، المرجع السابق ، ص : 172.

ملحق رقم (10):

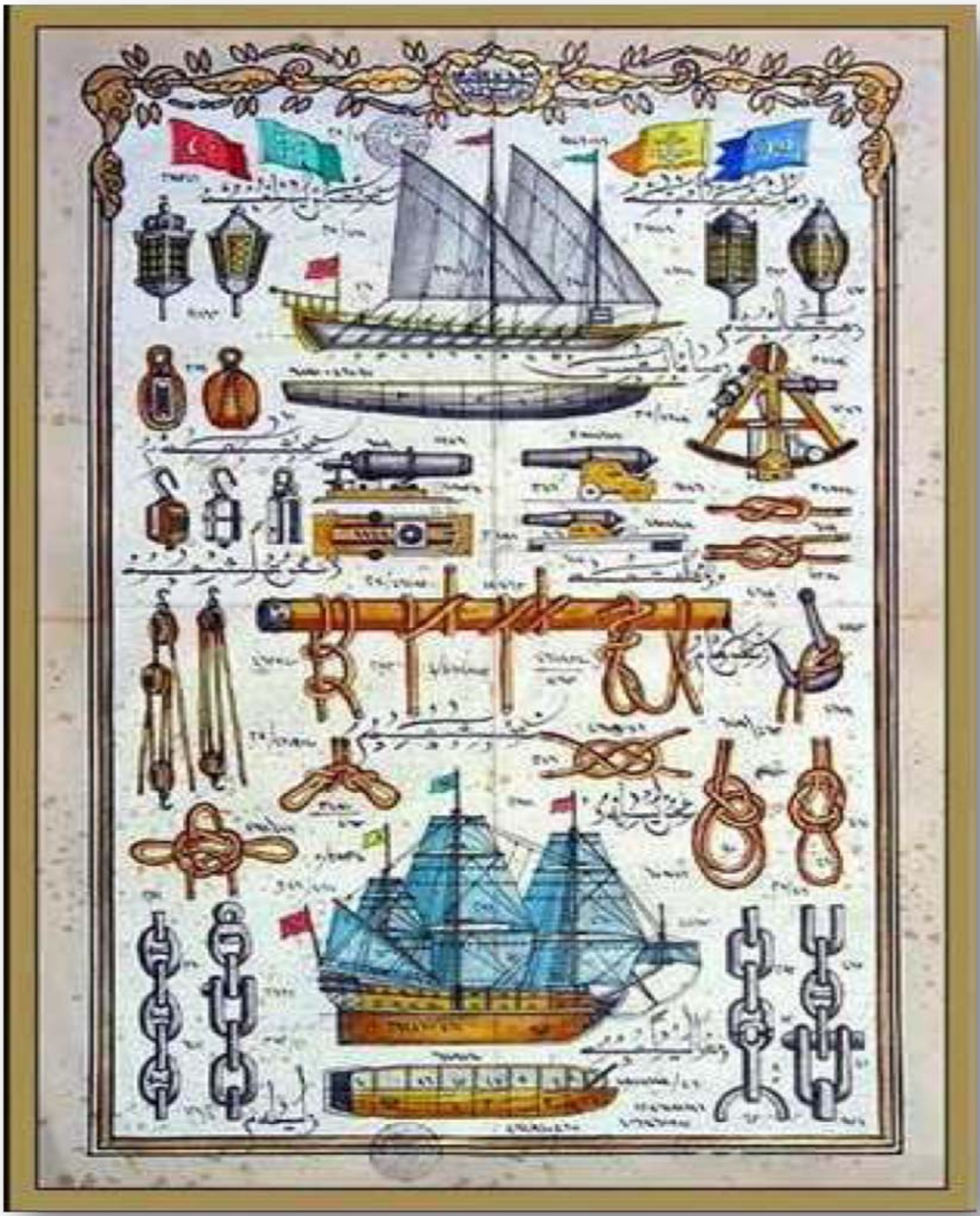
صورة لسفن ذات الصواري الطويلة.



جون ب ولف، المرجع السابق،ص:133

الملحق رقم (11) :

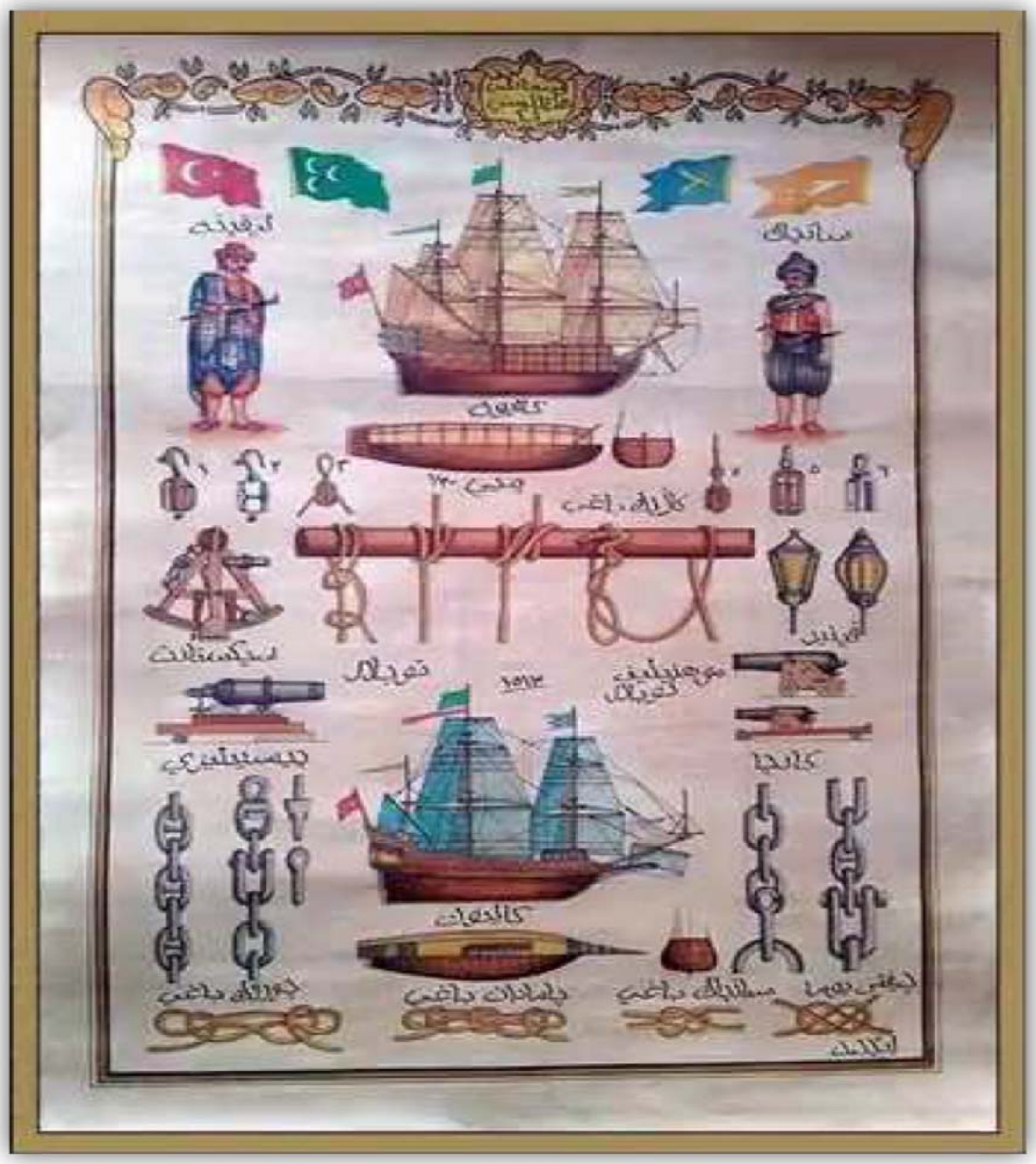
السفن و معداتها



أحمد مفيد صالح باشا ، المرجع السابق

الملحق رقم (12) :

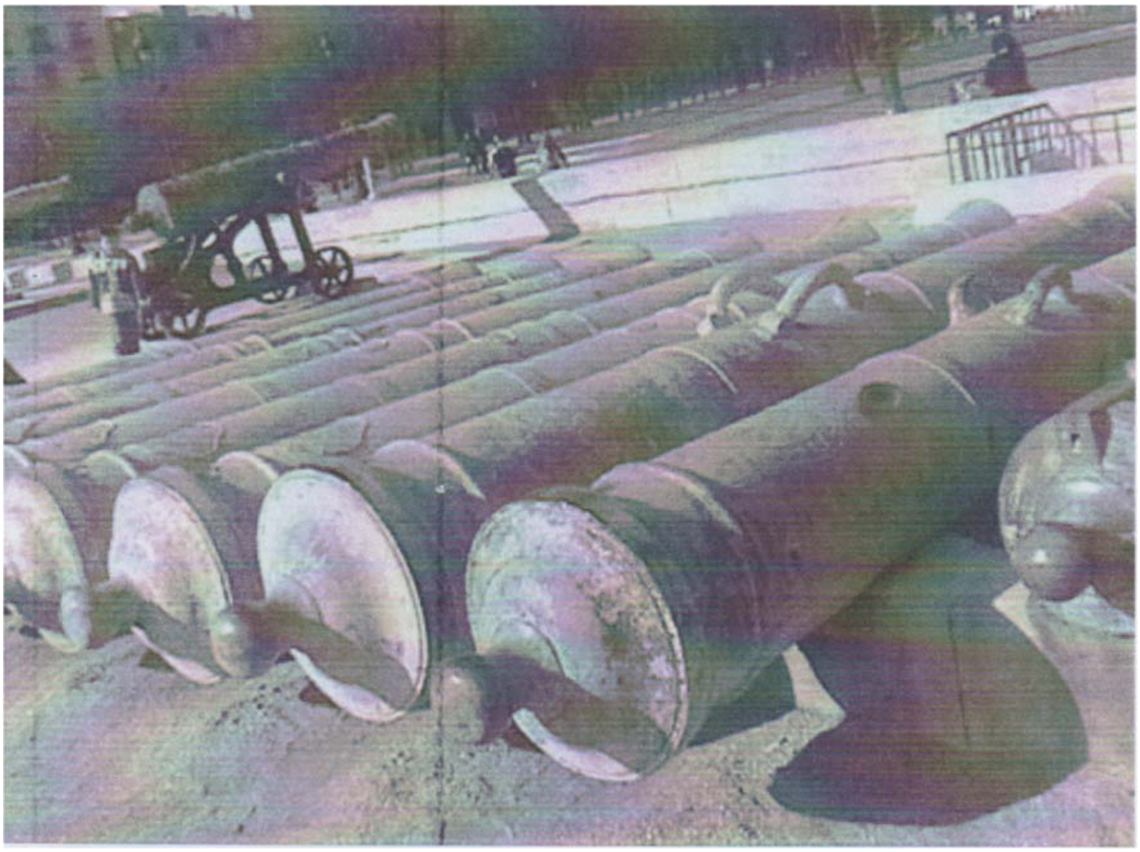
السفــن و معداتهـــــا



أحمد مفيـد صالح باشـا ، المرجع السابق .

ملحق رقم (13):

صورة لمجموعة من المدافع التي استعملت في السفن الجزائرية.



أحمد مفيد صالح باشا ، المرجع السابق .

ملحق رقم (14):

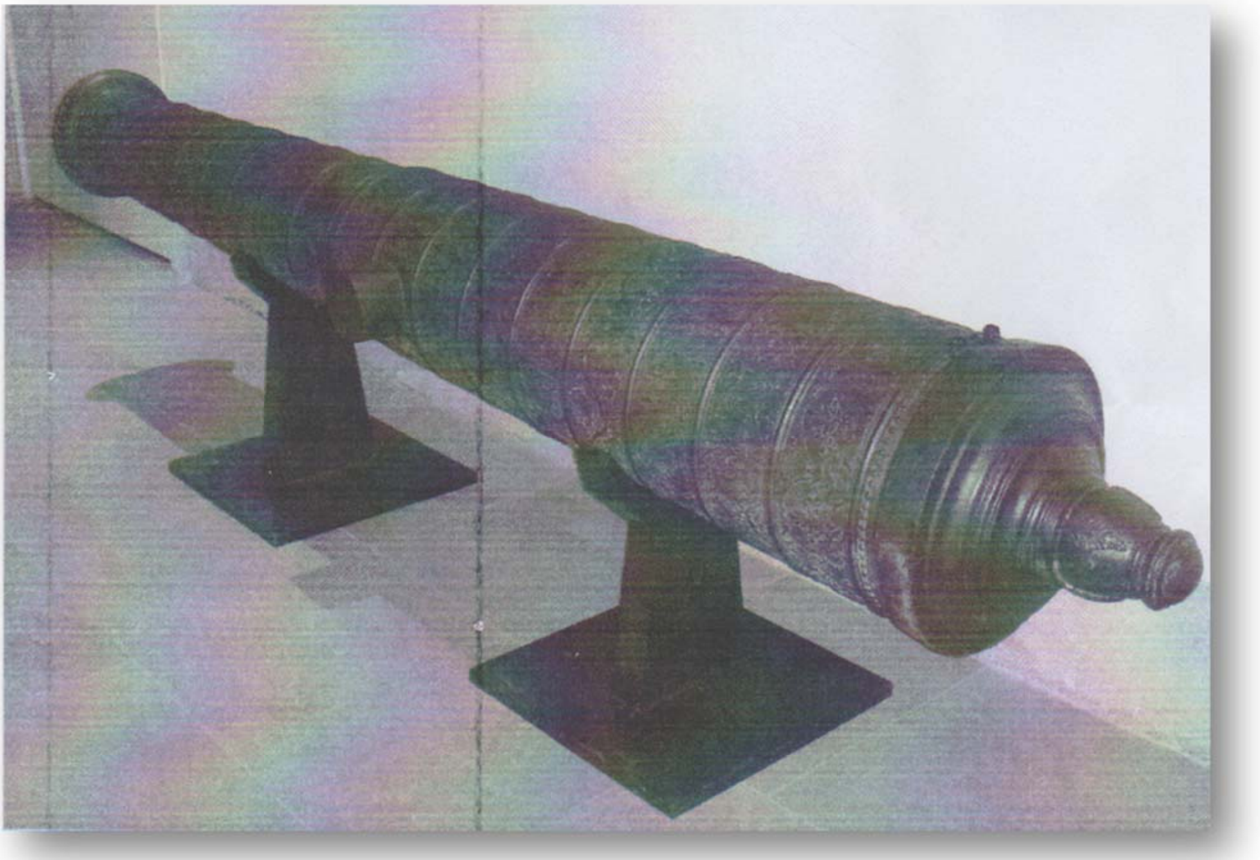
صورة لمدفع أستعمل في السفن الحربية الجزائرية



أحمد مفيد صالح باشا ، المرجع السابق .

ملحق رقم (15):

صورة لمدفع أستعمل من قبل الأسطول الجزائري.



أحمد مفيد صالح باشا ، المرجع السابق

قائمة المصادر و المراجع

_ القرآن الكريم-

قائمة المصادر و المراجع

المصادر:

***المخطوطات:**

1_مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، مخطوط رقم:1528، الرباط، الخزانة الحسنية، ورقة رقم:66.

***ملف وثائق العثمانية:**

2_الوثائق الأرشيفية ملف رقم:3205.

*** قائمة المصادر:**

أ- المصادر باللغة لعربية:

3-الجامعي،إبن زرفة،تاريخ تحرير مدينة وهران من الإحتلال الإسباني،ج:1،تح،مختار حساني، الجزائر: مخبر المخطوطات، دط:2003م

4-إبن خلدون عبد الرحمان، مقدمة إبن خلدون، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط: 2،1961م.

5-الراشدي أحمد بن محمد علي بن سحنون ، الثغر الجوماني في إبتسام الثغر الوهراني، تح ،تق: المهدي بوعبدلي ،منشورات وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الجمعية سلسلة التراث،دط،دس.

6-الزهار أحمد الشريف، مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر 1754م، تح: أحمد توفيق مدني، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،ط: 2،1980م.

7–بن عثمان حمدان خوجة، المرآة، تق، تع: الزبيري محمد العربي، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، دط، 1975م.

8–إبن أبي ضياف أحمد، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان، تح: لجنة من كتاب الدولة الثقافية و أخبار، الدار التونسية للنشر، دط، 1976م.

9–ابن الكثير ابن إمامة الحافظ، تفسير قرآن العظيم ج:1 دار الكتب العلمية دط:2000م

10– القرطبي أبي بكر أبي أحمد بن محمد أبي عبد الله، الجامع لأحكام القرآن ،بيروت: مؤسسة الرسالة ،ط: 1، 2006م.

11– بك محمد فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: إحسان حقي، دار النفائس ،ط:1 ،1981م.

12–محمد بن علي بن شباط التوزري، وصف الأندلس در، تح، أحمد مختار عبادي، مدريد، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، ط:1971،1م

13–بن ميمون محمد، التحفة المرضية في الدولة البكداشية، تق ،تح: بن عبد الكريم محمد، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ط:2، 1981م

ب – قائمة المصادر الأجنبية :

14_Capitaine mai trot ,Bonne Militaire siècle XXIv après avant a 20éme

15_Devoloux Albert, La Marine de La régence D'Alger,Bibliothèque nationale de France,1896

16_Ernest Mercier, Histoire de L'Afrique septentrionale, Paris, Ernest L'eroux éditeur, 1868

17_Fray Diego de Haedio, Abbe de Fromesta, Histoire Des Rois D'Alger, traduit et annotée:H D de Grammont, Alger Adolphe Jourdan Libraire éditeur, 1881

18 −H D de Grammant,Histoire de L'Alger sous la Domination Turque 1815 − 1830, Ernest L'eroux éditeur, 1837.

19−L'éon Fey , La Domination Espagnole ,typographie Adolphe Perrier éditeur, 1858.

20− venture de paradis, Alger au XvIII Siècle, Alger, Typographie Adolphe Jourdan,1898.

ت-المصادر الأجنبية المترجمة باللغة العربية:

21- بفايفر سيمون،مذكرات جزائرية عشية الإحتلال، تر، تح، تق: دود أبو العيد، الجزائر: دار هومه للطباعة و النشر و التوزيع، دط ،2009م.

22-مجهول ، سيرة المجاهد خير الدين بربروس ،تح،تق،تع:حمادي عبد الله، الجزائر: دار القصبة للنشر،دط:2009م.

23- مجهول،غزوات عروج و خير الدين،تح،تع:عبد القادر نور الدين، الجزائر:المطبعة الجامعية،ط1: 1934م

24- مجهول، مذكرات خير الدين بربروس،تر: محمد دراج،الجزائر:شركة الأصالة للنشر،ط:1، 2010م.

* **قائمة المراجع:**

أ- قائمة المراجع باللغة العربية :

25- إبن آشنهو عبد الحميد إبن أبي زيان، دخول الأتراك العثمانين إلى الجزائر، الجزائر:دط، 1982م.

26- جلال يحي، تاريخ المغرب الكبير، ج:3،بيروت: دار النهضة للطباعة و النشر، دط، 1981م

27- بوحوش عمار ،التاريخ السياسي للجزائر من بداية و لغاية إستقلال 1962م، بيروت:دار الغرب الإسلامي، ط:2، 2009م.

28- رائف أحمد،وتذكروا من أندلس الإبادة،القاهرة:الزهراء للإعلام العربي،ط:.1987،1

29- ركيبي عبد الله، الجزائر في عيون الرحالة الإنجليز، ج:1 ،الجزائر: دارحكمة، دط، 2010م.

30- زوزو عبد الحميد، نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر المعاصر، الجزائر:ديوان مطبوعات الجامعية، دط ،2007م.

31_الزويعي محمود محاكم التفتيش الإسبانية (922هـ_1516م)،الأردن دار زهران للنشر الوزيع، دط، دس.

32- سعد الله أبو قاسم ،محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الإحتلال، الجزائر: دار الرائد،دط،2009م.

33- سعيدوني ناصر الدين، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ،دط، 1984م.

34- الطويل سعيد محمد ، البحرية الطرابلسية في عهد يوسف باشا القرمانلي 1795م
.1832م،لبنان: دار الكتب الجديدة المتحدة ،ط:1، 2002م.

35- عباد صالح،الجزائر خلال الحكم التركي 1514م. 1830م، الجزائر: دار هومه ،ط: 3،
.2011م.

36_عبد العزيز سالم ،تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، بيروت ، دط:1962م.

37- بو عزيز يحي،مع تاريخ الجزائر في ملتقيات الوطنية و الدولية ، الجزائر : ديوان المطبوعات
الجامعية ،دط،1999م

38_الموجز في تاريخ الجزائر ،ج:2،الجزائر :ديوان المطبوعات الجامعية ،دط،2009م.

39- العسلي بسام، الجزائر و الحملات الصليبية ،بيروت: دار النفائس، ط:3 ،1986م.

40- عمورة عمار، الجزائر بوابة التاريخ ،ج:2 ،الجزائر: دار المعرفة ،دط، 2009م.

41- عميراوي أحميدة. الجزائر في أدبيات رحلة وأسر، الجزائر: دار الهدى، دط ،2009م.

42_عنان عبد الله ،نهاية الأندلس ،القاهرة: مكتبة عادل شتاوي ،الأمة الأندلسية الشهيدة، بيروت:
المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1: 2000م

43- غطاس عائشة، الدولة الجزائرية الحديثة و مؤسستها، منشورات المركز الوطني لدراسات و
البحث و الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954م،دط، دس.

44- فركوس صالح، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الإستقلال ،الجزائر: دار العلوم للنشر
و التوزيع ،دط، 2005م

45-محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر 1830م. 1962م ، مديرية النشر لجامعة قالمة، دط، 2010م.

46- الكعاك عثمان، موجز في تاريخ العام من العصر الحجري إلى غاية الإستقلال، تق، تع:مجموعة، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط:1، 2003م.

47_محمد عبد الله عنان ،الآثار الباقية في اسبانيا والبرتغال ،دب ن :مطبعة التأليف والترجمة والنشر،ط 2(1311هـ_1921م)

48- مدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر و إسبانيا 1492م 1792م، الجزائر: دار البصائر، ط: 1،

49- مروش المنور، القرصنة بين الأساطير و الواقع ،الجزائر: دار القصبة للنشر، دط، 2009م.

50- مياسي إبراهيم ،من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ط: 2 ،2007م.

51- الميلي الهلالي محمد، مبارك تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، ج:3، الميزان للنشر و التوزيع، دط، دس.

52- هلال عمار، أبحاث و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر 1830م. 1962م، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية ،دط، 1955م.

53-يحياوي جمال سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين1492م-1610م،الجزائر:دار هومه للطباعة والنشر ،دط،2004.

ب– قائمة المراجع الأجنبية:

54_ Louis Cardialac ,l’Espagne de rois catholique 1474_1497 edition aurment ,collection memoires .

55_Rodrigo de zayas , les moresque et racisme d’etat et la difference ,Paris,1992و.

ت– المراجع الأجنبية المترجمة باللغة العربية:

56– جون ب ولف، الجزائر و أروبا (1500م _ 1830م)، تر، تع: سعد الله أبو قاسم ،الجزائر: دار الرائد،دط، 2009م،

57– سبنسر ويليام، الجزائر في عهد رياس البحر، تر،تح ،تع :عبد قادر زبايدية،الجزائر: دار الميزان للنشر والتوزيع،دط،دس.

58_كورين شوفالبية ، الثلاثون ،السنة الأولى لقيامدولة مدينة الجزائر، تر:جمال حمدانة ،الجزائر:الديوان المطبوعات الجامعية، دط،دس.

ث– المراجع العربية المترجمة باللغة الأجنبية:

59- Belhamisi Moulay ,Marine et Marin D'Alger 1815- 1830 ,III, bibliothèque nationale.

*** المعاجم باللغة العربية:**

60_سهيل الإدريسي، المنهل، بيروت:دار الأدب للمنشورات،دط:2007م

61_صالح العلي الصالح، المعجم الصافي في اللغة العربية

62_ عبد القادر حامد ، محمد علي النجار ، المعجم الوسيط،تركيا،المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع،دط، 2001م.

63_ مسعود جبران،معجم ألفبائي في اللغة العربية، لبنان:دار العلم للملايين ،ط:3، 2005م ص573.

* **الدوريات:**

64- بليل رحمونة ،دور الجهاد البحري في إقتصاد الإيالة الجزائرية خلال القرن الثامن عشر ، معسكر ،مجلة العصور ، العدد: 20.

65- بن جبور محمد، البحرية الجزائرية أواخر العهد العثماني، مجلة العصور ، الأعداد 12- 13 - 14 ، 2008-2009 م ،

***الرسائل الجامعية:**

66_ حيمر صالح ،التحالف الأروبي ضد الجزائر عام 1541م و تأثيراته الإقليمية و الدولية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ ، جامعة باتنة :2006م-2007م.

67- دوبالي خديجة ،رسائل أحمد باي إلى حسين باشا،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ،جامعة وهران:2005م-1427هـ

68- زيتوني إسحاق،البحرية الجزائرية و تأثيراتها في العلاقات الجزائرية الفرنسية السياسية ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ ،جامعة غرداية: 2011م-2012م.

69- بن سعيدان محمد، علاقات الجزائر مع فرنسا مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، جامعة غرداية: 2011م .2012م.

70 _ عطلي محمد أمين، نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر و أثره على العلاقات الجزائرية الفرنسية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، جامعة غرداية: 2011م . 2012م.

71- بن موفقي محمد، العلاقات السياسية و التجارية بين الجزائر وإسبانيا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، جامعة غرداية: 2010م . 2011م.

72-محرز أمين، الجزائر في عهد الأغوات 1659م .1761م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ ،جامعة الجزائر :2007م . 2008م.

73- ملحم علي بن عبد الله، القرصنة البحرية على السفن، ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، 2008م .1427هـ.

*** قائمة المقالات الإلكترونية:**

74- باشا أحمدمفيد، البحرية، (**http://www.arabency.com**)

75- حرفوش مدني، التواجد العثماني في الجزائر، (http :qawin. net)

76- مسلم اليوسف،الجهاد البحري أهميته وفضله وبعض مميزاته http:llqawim.net

77- ويلزينسكي كرزسيتوف، التواجد العثماني في الجزائر،(http : llpitate sinf .com/detail (phparliele-id

فهرست الموضوعات

الفهرس